ذخائر العرب

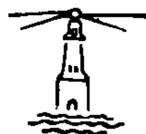
٣٤

ديوان البحتري

عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه

حسن كامل الصيرفي

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

● ذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه « ديوان المعانى » أن الصولى قال :

سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى ، فليس للعرب سينية مثلها ؛ وقصيدته فى البركة « ميلُوا إلى الدار مِنْ لَيْلَى نحيِّيها » . واعتذاراته فى قصائده إلى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار ابن عبد الله التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله أولها « ألم تر تغليس الربيع المبكّرِ » ووصف حرب المراكب فى البحر ؛ لكان أشعر الناس فى زمانه ، فكيف إذا أضيف إلى هذا صفاء مدحه ورقّة تشبيهه !

● وقال ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » وهو يتحدث عن البحترى :

وسئل أبو الطيب المتنبى عنه ، وعن أبى تمام . وعن نفسه : فقال : أنا وأبو تمّام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولَعَمْرِى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه : فإنّ أبا عُبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصمّاء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ؛ فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام ؛ وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، ورقى فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

● وقال الثعالبى فى كتابه « برد الأكباد » إن أبا القاسم الإسكافى قال :

استظهارى على البلاغة بثلاثة : القرآن ، وكلام الجاحظ ، وشعر البحترى .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله العليّ القدير ؛ الذى قدَّر لى أن أشهد من مظاهر التقدير الخالص يوجَّه إلىّ فى كل مكان من كل بلد للعمل الذى قمتُ به فى تحقيق هذا الديوان والمنهج الذى ارتضيتُه فى هذا التحقيق ، ما عوَّضنى عما بذلتُ من جهد وما أنفقتُ من عمر لأنهض بهذا الواجب .

والشكر بعد الله ، الذى أعاننى على ذلك جلَّت قدرته ، إلى العلماء الأجلاّء الذين أشادوا بما صنعت فى هذا الباب ، والذين أبدَوْا من سديد الرأى ما استلهمتُ منه الصواب . وإنى لأشكر بخاصة الأخ الكريم العالم المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون على ما قدَّم إلىّ فى مقالاته التى نشرها منذ سنوات فى « المجلة» وجمعها بعد ذلك فى كتابه « حول ديوان البحترى » من ثناء أرجو أن أكون دائماً أهلاً له ، وما عـَنَّى به نفسه من استقصاء الجزء الأول من الديوان .

وأشهد أنى قد أفدت كثيراً من ملاحظاته وتوجيهاته — وهو الرجل الذى تمرَّس بهذا الفنّ قرابة الأربعين عامًا — فكان لهذه الطبعة حظٌّ من التصويب على ضوء ما أنار نقده .

على أنى قد احتفظت برأيى فى بعض ما نقده الأستاذ الجليل من مثل :

١ — قول الشاعر فى صفحة ٢٧٦ « من يتصرَّع » وقول الأستاذ هارون : صوابه « يتضرع » .

والشاعر قد استعمل هذه الصيغة أكثر من مرَّة فى قوله فى البيت ٩ من القصيدة ٥٠٠ [صفحة ١٢٤٦] والكلمة الأخيرة فيه تؤكدها :

أَمِنَّا أَنْ تَصَرَّعَ عن سَمَاحٍ ... وللآمَالِ فى يَدِكَ اصْطِرَاعُ

وفى البيت ٢٢ من القصيدة ٥٠٥ [صفحة ١٢٦٥] :

لَمَرَّ عَلَيْنَا غَيْمُهُ وهو مُثْقَلٌ ... فعَرَّجَ فِينَا وَبْلُهُ وتَصَرَّعَا

وفى البيت ١٤ من القصيدة ٧٠٣ [صفحة ١٨٤٣] :

يَتَصَرَّعْنَ للرَّجَاءِ دُنُوَّ آلْ غَيْمِ ، وَٱلوَدْقُ خارِجٌ مِنْ خِلاَلِهْ

ولقد فسرناها جميعها بمعنى التواضع والتساقط . وانظر كلام الآمدىّ فى الموازنة (١ : ٣٨٤ طبعة دار المعارف) .

٢ ـ لفظة « العُروب » : جمع « عَرَبَة » ، وهى سفنٌ رواكد كانت فى دجلة ، وكانت عبارةً عن طواحين قائمة على هذه السفن .

قال الأستاذ هارون : « ولست أتكلم فى غرابة هذا التفسير ، وإنما الغريب حقًّا أن تُجمع العربةُ على العُروب ، فإنّ هذا لايكون . وصواب الكلمة « الغُروب» بالغين المعجمة المضمومة وهى الدّلاء العظيمة . . » .

ونقول إن هذا الجمع للعروب قد كان متداولاً ، ذكره الشابشتى فى « الديارات » (٤٥ طبعة أولى) حيث قال وهو يتكلم على « دير مر جرجس» على شاطئ دجلة : « والعُروب بين يديه » .

وهذه الصيغة ذكرها ابن الرُّومى فى شعره أيضًا [ديوانه ١ :٥٤٨] :

وجاوَزْنَا قُرَى بَغْدَادَ حَتَّى دَلَلْنَ عَلَيْكَ أَصْوَاتُ العُروبِ

وإن كان محقّق الديوان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم قد جعلها «الغُروب» وقال : « وفى الأصل العُروب بالعين المهملة ولا معنى له . فأصلحتاه (الغروب) » وقال فى تفسيره : « حتى دللن عليك أصوات الغروب ، أى إلى أن أرشدنا إليك الأصوات التى تعلو عند مغيب الشمس (أى أذان المغرب) أو الأصوات التى تحدث من الدلاء العظيمة التى يستقى بها الماء على السانية (الشادوف) .ولعلّ ذلك كان يفعل على شطوط دجلة عند سامرّا » .

ويذكر الأستاذ كوركيس عوّاد فى شرحه للديارات أن « العروب» أى الطواحين كانت شائعةً فى العراق والجزيرة وبعض ما جاورها من البلدان ، ويرتقى استعمالها إلى ما قبل الإسلام ، وظلّت معروفةً حتى المائة السادسة للهجرة ، ثم قلّ استعمالها . مُحيلاً إلى مقال

للأستاذ ميخائيل عوّاد عن « العُروب فى العراق » نشر فى الرسالة » مجلد ٨ سنة ١٩٤٠ العدد ٣٦٠ ص ٨٩٤ — ٨٩٦ .

٣ — أخذ علينا تفسيرنا فى صفحة ١٤٣ للحجّام بأنه الحلاّق . وقال : « والحلاق غير الحجّام ، فالأول لتحليق الشعر ، والآخر لاستنزاف الدم ، وإضافة عمل الحلاق إلى الحجام لايصح معه أن يقال لما يستعمله الحلاق من أدواته محاجم . . . » ثم قال : « فالتعميم فى تفسير الحجام بالحلاق لاسند له فى اللغة ولا الاستعمال » .

ونقول : إن البحترىّ نفسه قد استعمل ذلك فى هجوه لصاحب بريد مُضَر فقال فى القصيدة ٨٠٩ [صفحة ١٢٣٥] :

الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ الرِّزْقَ أَقْسَامُ لَمَّا تَقَلَّدَ أَمْرَ ٱلْبُرْدِ حَجَّامُ

ثم قال :

فجاءَهُ بتَقَارِيضٍ ومُرْهَفَةٍ من المَوَاسِى لها فى الحَلْقِ إحْكَامُ

والحَلْق : هو إزالة الشَّعر . والتقاريض : المقصّات

ونجد فى كتاب « لباب الآداب » (٨٥) خبراً أن الحسن بن علىّ دعا « حجّامه ليسوّى من شاربه » .

وجاء ذكر « أبى حرملة الحجّام » فى تاريخ الطبرى بهذه الصيغة (٩ : ٤٥٣ دار المعارف) . وورد فى كتاب « الذخائر والتحف » وفى كتاب « الديارات » باسم « أبى حرملة المزّين » .

وكلّنا يذكر حتى الثلاثينات من هذا القرن ما كان يؤديه حلاق الصحة من أعمال الفصد وخلع الأسنان .

٤ — أخذ علينا عند ذكر بيت البحترى فى [صفحة ٥١٩] :

سَمَا بالخَيْلِ أَرْسَالاً لِسِيمَا فمِنْ شُوسٍ إِلَى الدَّاعى وقُودِ

تفسيرنا للشُّوس بأنه جمع الأشوس . وهو الجرىء على القتال الشديد . والقُود بأنها السهلة القياد .

وقال : « أمّا تفسير الشوس بهذا فلم أره من قبل والمعروف أن

الأشوس هو الذى ينظر بمؤخر العين تكبُّراً واستعلاء أو غيظًا ، أو الذى يرفع رأسه تكبراً » .

وقال : « وكذلك تفسير القود على هذا الوجه ليس صحيحًا ، وإنما هو جمع أقْوَد وقَوْداء ، وهو من الخيل : الطويل العنق » .

ونقول إن تفسير الأشوس كما ذكرناه منقول عن اللسان (٧ : ٤٢٢ سطر ٧ طبعة بولاق) .

والتفسير الذى جاء به الأستاذ الجليل لكلمتَىْ « الشوس » و « القُود » صحيح لاغبار عليه ، ولكنَّه لايناسب الموقف هنا ، وإنما الذى يناسبه تفسيرنا ؛ حيث يذكر البحترى أن ممدوحه كان يرقى بخَيله فى أرسال متتابعة إلى مقرّ قيادة سيما الطويل حاكم أنطاكية لينقض بها عليه . فلو أن الخيل كانت تنظر بمؤخر العين تكبراً لتدهورت من هذا الجبل إلى سفحه ، ثم هو يصفها بأنها كانت سهلة القيادة تجيب دعوة الداعى إلى القتال فلا تحرن .

ولعلّ الأخ الكريم يوافقنى على أن التفسير الآخر ينطبق على الخيل إذا كانت فى موقف عَرْض لاموقف حرب .

* * *

هذا بعض مما أردتُ أن أذكره فى مناسبة الطبعة الثانية . أما ملاحظات أخى العالم المحقق الحجّة فقد كانت هاديًا لى صَوَّبتُ ما جانبنى التوفيق فيه على ضوئها — والعصمة لله وحده — شاكراً للأخ الكريم جميل عنايته وتفضله بما قدّم ،حفظه الله ، ومستزيداً منه ومن غيره من العلماء الأجلاَّء ما يهدينا إلى وجه الحق .

وبعد ؛ فهذه هى الطبعة الثانية أقدمها ، وأنا أرجو أن يقدّر الله لى أن أقدّم طبعة ثالثة بإذنه تعالى تكون أقرب إلى الكمال الذى أحاول أن أبلغ أعتابه .

حسن كامل الصيرفى

مقدمة الطبعة الأولى

الشاعر الفنان

خلال عام ١٩٤٩ وقعت لى نسخة من كتاب « عبث الوليد » لأبى العلاء المعرّى، الذى نقد فيه طائفة من شعر أبى عُبادة البُحتُرى فردّنى هذا الكتابُ إلى قراءة ديوان البحترى ، واسترعى نظرى أن الديوان قد خلا من قصائد كثيرة أشار إليها المعرّى ، وبخاصة قصائده التى كتبها فى الحقبة التى استولى فيها أحمد ابن طولون على الشام ؛ ودفعنى هذا الكتاب إلى البحث عن هذه القصائد الضائعة . وحرّضنى أخى العزيز الأستاذ إبراهيم الأبيارى على المُضِيّ فى هذا البحث والعمل على تحقيق الديوان ، ولم يزل بى يسهّل لى الأمر ويهوّنه حتى اندفعت فى المأزق الصعب الذى لم أستطع الخروج منه ، وكلّما سخرت من نفسى ردّنى تشجيعه إلى قطع الطريق حتى النهاية .

ومضيت أشهراً أذهب فى بياض كل نهار إلى دار الكتب أراجع مخطوطات الديوان ، ثم ألتقى بالأستاذ الأبيارى كل مساء فى حجرة بأعلى دار المجمع اللغوى بشارع قصر العينى حيث كان يشترك مع الصديق الدكتور مراد كامل فى وضع أسس « المعجم الكبير » . وكانت هذه الحجرة تزخر بعدد ضخم من المراجع فى اللغة والأدب والتاريخ ، فأمضى مع الصديقين الكريمين ساعات اجتماعهما أقلّب صفحات هذه المراجع بحثاً وراء بيت شعر للبحترى ، ناقلاً ما أجده ، مُقارِناً بين روايته فى تلك المراجع وروايته فى الديوان .

ثم تمادى بى الأمر ، فسعيت وراء مخطوطات الديوان أنقّب عن أماكنها فى كل مكان ؛ وكان أن انتهزت فرصة سفر الأخ الأستاذ محمد رشاد عبد المطّلب فى أواخر عام ١٩٤٩ إلى تركيا ، فطلبت إليه أن يبحث لى عن مخطوطات الديوان الموجودة هناك ممّا ذكره المستشرق الكبير الدكتور كارل بروكلمان فى كتابه

« تاريخ الأدب العربي » . فتكرّم مشكوراً بالرجوع إليها ووصفها لي في رسالة خاصة .

ثم بدأتُ في نسخ شعر الديوان . ومقارنة الطبعات الثلاث بعضها ببعض ، وأخذتُ بعد ذلك في نقل ما في مخطوطات القاهرة من زيادات عن الطبعات الثلاث . فشجّعني على الاستمرار في هذه التجربة عثوري على الكثير من القصائد الضائعة التي أشار إليها أبو العلاء المعرّي في كتابه « عبث الوليد » . ثم أخذتُ في تصوير كثير من المخطوطات الموجودة في خارج البلاد ، فحصلت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة ميونخ ، وقد رُتِّبت فيها القصائد على حروف الهجاء ، وهي نسخة غير كاملة ؛ ثم حصلت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريلّي بالآستانة ، وهي التي نُشرت عليها طبعتا الآستانة وبيروت ، وبعد ذلك تابعت السعي في تصوير غيرهما من النُّسَخ حتى صوّرت بعض مخطوطات دار الكتب المصرية .

وانصرفت عما حولي أدرس شعر الرجل ، وأتابع الأحداث التي يشير إليها ، وأدرس مع ذلك كله عصره وبخاصة الثمانين عاماً التي عاشها وحياته خلالها وعلاقاته مع أهل عصره من خلفاء ووزراء وكتّاب وأدباء وشعراء وقادة وأمراء ورجال بلاط وندماء . حتى المغمَّرين من الناس الذين ذكرهم في شعره رحت أقلّب صفحات الكتب منقّباً عما يكشف لي ظلّ صورة لهم .

وأخيراً وجدت أن ما حسبته ميسَّراً سهلا هو في الحقيقة أمرٌ مُضْنٍ . وأن الطريق إليه ليس معبّداً كما تصوّرت ، وأن هذا الشاعر الذي يرقّ أحياناً حتى يصير شعره كالجدول الرقراق يشفّ ماؤه الصافي عن حصبائه . يهدر أحياناً أخرى كالمحيط تعلو أمواجه وتهبط وتنفسح رقعته فلا يُعرف مدى انتهائه .

وكم من مرة حدثتني النفس بالتوقف عن هذا الأمر . وتخليص النفس من هذا الأسر . والبعد عن هذا الطريق الوعر ؛ ولكن هاجساً خفيّاً كان يهتف بي ألاّ أترك الأمانة التي قيضتني الأقدار لها عن غير علم مني بألاّ أدع شعر هذا الشاعر الفنان ينشر على الناس في مظهر لايليق بجمال شعره في حين يظهر شعر مَنْ هم أقلّ مرتبة منه في مظهر أنيق ، وعلى جانب كبير من الدرس والتحقيق .

ونسيتُ شِعْري أنا ، وغفلتُ عن جَمْعه وتبويبه ، وراء جمع شعر البحتري

الذى هالنى أن أجده – وهو صاحب الشعر الذى سُمِّىَ « سلاسل الذهب » لعذوبته وحماله – يصرخ فى زمانه قائلاً :

عَلَيَّ نَحْتُ ٱلْقَوَافِى مِنْ مَقَاطِعِها وما عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ ٱلْبَقَرُ

وفكرتُ ، أول الأمر ، فى تأريخ قصائد الديوان تمهيداً لنشرها حسب الترتيب التاريخى لنظمها ، ولكنى عَدَلْت عن هذه الفكرة بعد فترة من الزمن حين تعذَّر علىَّ الاهتداء إلى تأريخ لعدد من القصائد ، وحتى لا أقيِّد مَنْ بَعْدى باحتمالات قد أكون مخطئًا فيها ، ورأيتُ أن الأفضل نشره مُرَتَّبًا على حروف المعجم ، والنسخ التى بين يدىّ من هذا الضرب من الترتيب مختلفة إلى جانب أنها حديثة لم يُشَر فى واحدة منها إلى أصول قديمة نُقلت عنها ؛ ووجدت أن أقدَم مخطوطة أخذت بهذا الترتيب هى المحفوظة بالمكتبة الأهلية فى باريس ، فحاولتُ الحصول على صورة منها ولكنْ تأخَّر حصولى على طلبَتى ثلاث سنوات لظروف خارجة عن إرادتى مع الأسف . وكان عملى خلال تلك السنوات الثلاث قد تعثَّر ودبَّ اليأس إلى نفسى ، وران التشاؤم عليها . وما كدت أتسلَّم (الميكروفلم) الخاص بها حتى قمت بتكبيره على لوحات ، وعدت إلى العمل بعد انقطاع . وكنَّا إذ ذاك فى عام ١٩٥٥ .

وفى عام ١٩٥٧ كان القسم الأول والثانى من الديوان فى مطبعة دار المعارف ، ولكن ظروفاً قاهرة حالت دون ظهور الديوان فى موعده . ولعلَّ القَدَرَ كان يعمل على تأخير ظهوره حتى يخرج للنَّاس فى هذه الفترة الخطيرة من حياة الأمة العربية ؛ فهذا الشاعر الذى تفتحت عيناه على نور وطنه سوريا ، ثم احتضنته العراق وأكرمت وفادته ، تُعْنَى مصر بنشر ديوانه فى هذا المظهر الذى نرجو أن نكون قد أدَّينا به الأمانة التى ألقت علينا الأقدار واجب رعايتها .

* * *

وبعد ؛

فأمَّا الشاعر الذى فرغتُ له ، وقطعت من عمرى سنوات حرمتُ نفسى خلالها من الراحة ؛ يصحبنى حين أصطاف ، ويلازمنى حين أشتو ، ويفضُ

علىَ ليلاتٍ غموضٌ فى بعض شعره أريد أن أزيح خَفاءَه أو بعض خفائه ، ويشغل فكرى أيّامًا تحريفٌ فيه . فأغدو وأروح مقلّبًا الرأى على كل وجه لأقيم عِوَجَه وأرُدَّه إلى استوائه . . هذا الشاعر جدير بألا أقْصِرَ هنا صفحاتٍ قلائلَ على عرض حياته ، فمجالُ ذلك دراسة كبيرة أرجو أن يتاح لى — إن كان فى العمر بقيَّة — أن أقدّمها بعد الفراغ من نشر الديوان كاملاً .

ولكنّى أقدِّم هنا بين يَدى الديوان كلمة سريعة فى شعر هذا الرجل الذى خُلق ليكون شاعراً ، ولو تأخَّر به الزمن هذه القرون الأحد عشر التى مضت منذ وُلد فى عام ٢٠٤هـ ، ومات عام ٢٨٤هـ ، لكان له فى لونين من الفنون الحديثة مكانٌ أىَّ مكان ، وأعْنِى بهذين اللونين : الموسيقى والتَّصوير .

فالشاعر البحترى الذى يقول :

الشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِى إشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ

هو الذى عَبَّر فى شعره عن قضيَّة أدبية دار فيها الرأى بين نُقَّاد الأدب الأقدمين واشتجر النّقاش ، هى قضية اللفظ والمعنى ، فهو يرى المشاكلة بينهما ويقرِّر ذلك حين تروعه المعانى وقد :

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَــةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكْـ ـنَ به غَايَةَ الْمُــرَادِ الْبَعِيدِ

وقد استطاع البحترىُّ بمذهبه هذا أن يتسنَّم قمة الإبداع فى حُسن التعبير عن معانيه بوضوح وجمال ، فبَدَت وكأنها كما يقول ابن الأثير « نساءٌ حِسَانٌ عليهنَّ غلائل مصبَّغات . وقد تحلَّيْنَ بأصناف الحلْى » . وما يقصد ابنُ الأثير إلاَّ هذا الرنينَ البديعَ الذى يلازم تعبيرَ البحترى ، وهذه الرشاقةَ التى تصاحبُ تصويره .

ولم يكن البحترى بالذى يجهل قدر المعنى أو يُفضِّل عليه اللفظ ، ولكنّه يعرفُ أن جمال المعنى يتطلّب منه جمالَ اللفظ فهو يقول :

وَاللَّفْظُ حَلْىُ الْمَعْنَى .وَلَيْسَ يُرِيـ ـكَ الصُّفْرُ حُسْناً يُرِيكَهُ ذَهَبُهْ

فالمعانى عند البحترى أرواحٌ تتحرَّك وتتنفَّس ، فهو يخلق لها الجو الملائم ، يمازج فيه بين الألوان ويؤلِّف ، ويربط فيه بين الأوزان ويوحِّد؛ عملية من عمليات الصياغة الفنية ، يضرب فيها بريشته الضربات السريعة التى يقول عنها إنها « لمح تكفى إشارته » .

فهو حين يرسم لنا صورة الربيع يقدم لنا أجزاء الصورة متتابعة المعانى ، يأخذ كل جزء منها بأطرف سابقه ، كما فى قوله :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضاحِكاً مِنَ الْحُسْنِ حتى كادَ أَنْ يَتَكلَّمَا

إذ يمهِّد بهذا إلى اليقظة الحلوة التى تتنبَّه لها الطبيعة من غفوة كادت أن تكون مَوَاتًا ، ثم يصوِّرُ لنا فى الجزء التالى من الصورة هذا التنبُّه الحالم الوادع بقوله :

وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فى غَسَقِ الدُّجى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُوَّمَا
يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدَى ، فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَدِيثاً كَانَ قَبْلُ مُكَتَّمَا

ولا يخرج الشاعر فى هذا عن الجو الحالم ، فهو يُعطينا الصورةَ وادعةً مُتَمَثِّلَةً فى حديث هادئ لا جَلَبَة فيه ولا لَغْو ، يبثُّه الندى فى حنان إلى الورد الذى بدأت أزراره تنحلُّ عنه ليكشف عن مفاتنه . وهذه خلجات تعتلج فى نفس الشاعر ، فهو يصوِّر إحساسه الباطن ، ليعود فى الجزء الثالث من الصورة إلى الحسِّ الواعى الذى يشترك فيه مع غيره من الناس ، فيقول :

فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ ، كَمَا نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَمَا

وهو بهذا يكمل أجزاء الصورة السابقة ، فإن أول شىء يفكر فيه المستيقظُ عند انتباهه أن يأخذ أهْبَتَه للقاء الناس باللباس الذى يروق لهم . ثم يتابع هذا بقوله :

أَحَلَّ ، فأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً وكانَ قَذًى لِلْعَيْنِ إذْ كانَ مُحْرِمَا

فهو بعد أن طوَّف بخياله فى هذا المَنْسَك الرائع من مَنَاسِك الطبيعة

يرتد بذهنه إلى صورة من صور الواقع الحسي يستمد ها من إحرام الحجيج حين يتجردون من مخيط الثياب ، ويأخذ من هذا المشهد الذى بقى عالقًا بذاكرته من حجتيه صورة لتجرد الأشجار من أوراقها وأزهارها .

فشاعرنا لا يكتفى بعرض اللوحة أمامنا بألوانها الطبيعية التى نقلها عن الطبيعة ذاتها ، ولكنه يدعنا نلمح فى أرضية اللوحة ظلالا أخرى تضفى على الصورة حيوية حين يمازج بين إحساس خفى وإحساس ظاهر .

* * *

وفى صورة أخرى يقدمها لنا البحترى نرى التمازج الكامل بينه من ناحية أحاسيسه الباطنة القاتمة وبين مظاهر الطبيعة المتألقة الباسمة إذ يقول :

إبْكِيَا هَذِهِ ٱلْمَغَانِى ٱلَّتِى أَخْ — لَقَهَا بُعْدُ عَهْدِهَا بِٱلْغَوَانِى

أَسْعِدَا ٱلْغَيْثَ إِذْ بَكَاهَا وإِنْ كَا — نَ خَلِيًّا مِنْ كُلِّ ما تَجِدَانِ

جادَ فيها بنَفْسِهِ فَٱسْتَجَدَّتْ — حُلَلاً مِنْهُ جَمَّةَ ٱلأَلْوَانِ

فَهْىَ تَهْتَزُّ بَيْنَ إِفرِنْدِهِ ٱلأَخْـ — ـضَرِ حُسْناً ، وَوَشْيِهِ ٱلأُرْجُوَانِى

فِى سَمَاءٍ من خُضْرَةِ الرَّوْضِ فيهَا — أَنْجُمٌ من شَقَائِقِ النُّعْمَانِ

وَٱصْفِرَارٍ مِنْ لَوْنِهِ وَٱبْيِضَاضٍ — كَٱجْتِمَاعِ ٱللُّجَيْنِ وَٱلْعِقْيَانِ

ويُرِيكَ ٱلأَحْبَابَ يَوْمَ تَلَاقٍ — باعتناقِ ٱلْحَوْذَانِ وَٱلأُقْحُوانِ

فكأَنَّ الأَشْجَارَ تَعْلُو رُبَاهَا — بِنَثِيرِ ٱلْيَاقُوتِ وَٱلمَرْجَانِ

وكأَنَّ الصَّبَا تَرَدَّدُ فِيها — بِنَسِيمِ ٱلكَافُورِ والزَّعْفرانِ

قد تَصَابَيْتُ فَٱعْذُرِى أَو فَلُومِى — لَيْسَ شَىْءٌ من الصِّبا مِنْ شَانِى

وتَذَكَّرْتُ وافِدَ الشَّيْبِ فَٱسْتَعْـ — ـجَلْتُ حَظِّى فى الرَّاحِ والرَّيْحانِ

فهنا صورة مختلفة عن الصورة الأولى التى عرضناها للربيع . . . الصورة هنا تزاحم الألوان القاتمة فيها الألوان الزاهية ، وتطل من خلال البسمات ومضات دموع ، وتسمع من بين هذا الموكب المرح أنات خافتة ، وتعبر سماء هذا

الألَق الضاحك سحاباتُ حزن وأسى . فالشاعر حين بدأ قصيدته بهذا المطلع :

أَدْمُعٌ قَدْ غَرِينَ بِٱلْهَمَلاَنِ وفُــؤَادٌ قد لَجَّ فى ٱلخَفَقَانِ

مـَهـّد أسماعنا ، واسترعى انتباهنا إلى هذه الانفعالات النفسية التى يجيش بها صدره ؛ فهو يقابل صورةً بصورة ، ويعكس ألوانًا مع ألوان ، ليربط بين الصورتين فى وحدة تامة ؛ ماضٍ كان كهذا الربيع المتألق . فى شبابٍ كان يأخذ من نعيم الحياة نصيبَه منها ، ثم تسرع الأيام فتطوى هذا الشبابَ وتُسْلِمُ إشراقَه ومَرَحَه وزَهْوَه إلى مشيب يكبح جماح الأمل فى النفس . ويحاول أن يُخْمِد نبضات الرغبات فى القلب ، فهو حين يرى بكاء الغيث قد ردَّ إلى الطبيعة جمالها وابتسامـَها يعاوده أملٌ فيتصابَى . ولكن الأمل مـَهيض الجناح ، فيتلفت إلى ما حوله ، ويقول فى أسى :

* ليس شَىءٌ من الصِّبا مِن شانى *

ويردُّه تآلُفُ الألوان وتعانُقُ النبات إلى ذكرى ماضٍ حلو واجتماع هنىء ذهبا ، فلا يعيدهما إلى البعث بكاءٌ كبكاء الغيث .

* * *

وبمثل هذه الأداة الفنية يتناول البحترى صوَره . ولنقفْ معه وقفة خشوع أمام الصورة الخالدة التى تركها ، وأعنى بها قصيدتَه فى إيوان كِسْرَى . ولا أريد أن أتطرق إلى تحليل هذه الرائعة الفنية هنا . ولكنى أشير إلى الربط بين ما فى نفس الشاعر وما فى المشهد الذى يقف أمامه . فالشاعر يمرُّ بالإيوان وهو فى حالة نفسية حزينة إذ كان قد سئم الحياة فى البيئة التى كان يعيش فيها ، وكان يتحين الفرص ليعود إلى وطنه الشام . يرجو ويلحُّ ، والوزير أبو الصَّقْر إسماعيل بن بُلْبُل لايجيب رجاءه حتى صرَّح بذلك فى قصيدة مدح بها أحمد بن طولون قال فيها :

فأَصْبَحْتُ فى بَغْدَادَ لا الظِّلُّ واسِعٌ ولا ٱلعَيْشُ غَضٌّ فى غَضَارَتِهِ رَطْبُ
أَأَمْدَحُ عُمَّالَ الطَّسَاسِيج راغِباً إِلَيْهِمْ . وَلِى بالشَّام مُسْتَمْتَعٌ رَغْبُ

فَأَيْهَاتَ مِنْ رَكْبٍ يُؤَدِّى رِسَالَةً إِلىٰ الشَّامِ إِلاَّ أن تَحَمَّلَها ٱلكُتُبُ

ويخرج الشاعر فى رحلة صوب « المدائن» ليرى إيوان كسرى ثابتًا على الزمن ، جَلْداً على الأحداث . فتنعكس صورة حياته على الإيوان ، وتنعكس صورة الإيوان على نفسه . وتتآلف الصورتان ، ويقف مشدوهًا أمام هذا البنيان المترفع عن التهاوى فيقول :

صُنْتُ نَفْسِى عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِى وَتَرَفَّعْتُ عن جَدَا كُلِّ جِبْسِ

ثم ينظر إلى تماسك لَبِنَاتِ هذا القصر فيستشعر العزَّة فى نفسه والقوَّةَ فى روحه ، ويرى فى أعماق نفسه أنه يجب ألاَّ يقلَّ فى تماسكه عن هذا الجماد ، فيقول :

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِى الدَّهْـ ـرُ ٱلْتِمَاساً مِنْهُ لِتَعْسِى وَنَكْسِى

وتنطلق انفعالاته النفسية من مكمنها . فهو يصوِّر أحزانه وآلامه وضيقه بالغربة فى سبيل العيش . وبالسنين التى كرَّت من حياته فألانت من إبائه ؛ وتنطلق مع انفعالاته النفسية مواكب تاريخية تتزاحم على خياله ، وهو يشهد آثار الفن الفارسىّ على جدران الإيوان . ثم يحسُّ أنه يكاد أن يتهاوى ، وأن تماسكه يوشك أن يتلاشى ، فيعكس ما فى نفسه من أحاسيس على الإيوان نفسه ، فيقول إن الإيوان :

يَتَظَنَّى مِنَ ٱلكَآبَةِ أَنْ يَبْـ ـدُو لِعَيْنَىْ مُصَبِّحٍ أَو مُمَسِّى

مُزْعَجاً بالفراق عن أُنْسِ إِلْفٍ عَزَّ ، أَو مُرْهَقاً بِتَطْلِيقِ عُرْسِ

عَكَسَتْ حَظَّهُ ٱللَّيَالِى وباتَ ٱلْـ ـمُشْتَرِى فيهِ ، وَهْوَ كَوْكَبُ نَحْسِ

فَهْوَ يُبْدِى تَجَلُّدًا ، وعَلَيْهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلاَكِلِ الدهر مُرْسِى

وأكاد أُحسُّ أنه أراد أن يطابق بين صورة حياته ، وقد رحل عن جاهٍ عريض ومجدٍ طال أمدُه فى رحاب خلفاء العصر ووزرائه فى بغداد ؛ وبين صورة الإيوان ، وقد تعرَّى من مجده الحائل وعزِّه الزائل ؛ فهو يقول :

لَمْ يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الدِّيـ باجِ ، وَٱسْتُلَّ من سُتُورِ الدِّمَقْسِ
مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو له شُرُفَــاتٌ رُفِعَتْ فى رُءُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ

* * *

وثمّة صورة أخرى استمدّ الشاعر فيها معانيها من أعماق نفسه ، وطابق فيها بين أحاسيسه الظاهرة والباطنة ، وهى قصيدته فى وصف الذئب الذى لقيَه فى طريقه وهو يشقّ البادية سعياً وراء الرزق (القصيدة رقم ٢٨٩) ، ولعلها هى أول خطوطه فى هذا اللون . ففى هذه القصيدة يطابق بينه وبين الذئب ؛ كلاهما يضرب فى مجاهل الصحراء ، وكلاهما جائع ؛ عوامل الشر وعوامل الخوف تنتاب كُلاًّ منهما ، وغريزة حب البقاء تستولى على كلٍّ منهما بالصورة التى تتفق مع لون دفاعه .

إنها صورة رائعة من صور الصراع النفسى من أجل الحياة ، استطاع فيها البحترى — على رغم حداثة سنِّه حين قال هذه القصيدة — أن يوفق بين تنسيق أجزائها ، واستطاع كذلك أن يعبِّر عن أحاسيسه الباطنة بما يكشف عن نزعته الفنية التى أخذت فى النموّ بعد ذلك ، كما استطاع أن يدل على لمَّاحيَّته الخاطفة التى تبدو فى كثير من شعره ، وذلك فى قوله حين أُطلق سهمه على الذئب فأصاب قلبه ، فكان سريع اللمح حين قال — فى صدق تعبير — معناه الذى يصوِّر ما فى أعماق القلوب من نوازع متضاربة بقوله : « بحيث يكون اللبُّ والرُّعبُ والحِقْدُ » .

* * *

وكما رأينا البحترى يختزن فى ذاكرته مشاهد مرّت بحياته كصورة إحرام الحجيج فشبَّه بهم تجرُّد الأشجار من أوراقها فى الخريف ، نراه يختزن من البادية مشاهد كثيرة ، فهو حين يصف المعركة البحرية التى خاضها العرب مع أسطول الروم (فى القصيدة ٣٨٧) يرتدّ بخياله إلى البادية وهو يشبِّه ضجيج البحر بين رماح المحاربين بترديد صوت المُسِنّ من الإبل فيقول :

كَأَنَّ ضَجِيجَ ٱلْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا ٱخْتَلَفتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُجَرْجِرِ

ويرتد خياله أيضًا مرة أخرى إلى البادية وهو يصف رحلته إلى العراق فى قوله (من القصيدة ٢٧) :

ورَمَتْ بِنَا سَمْتَ ٱلعِرَاقِ أَيَانِقٌ سُحْمُ ٱلخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ
من كُلِّ طائرةٍ بخَمْسٍ خَوَافِقٍ دُعْجٍ كما ذُعِرَ الظَّلِيمُ ٱلْمُهْذِبُ
يَحْمِلْنَ كلَّ مُمَزَّقٍ فى هِمَّةٍ فُضُلٍ يَضِيقُ بها ٱلْفَضَاءُ السَّبْسَبُ

فهو يشبّه السفن التى حملته ومن معه بالنُّوق. ويشبّه الطُّحلب العالق بها من طول مُكْثِها فى الماء بالزَّبَد الخارج من أفواه الإبل ، ثم يصف هذه السفن بأنها سود الخدود لأنها مطليَّة بالقار . ثم يصف بعد ذلك سرعتها فيقول إنها تطير بخمس خوافق أى أربعة مجاديف وقائم الشراع . ويشبهها بالظَّليم الذى هو ذَكَرُ النَّعام حين يَجْفُل من الفزع .

* * *

وكلنا نعرف ولعه بوصف الخيل وطيف الخيال ، وقد افتنَّ فى هذا الباب حتى ضُرِبَ المَثَلُ بوصفه لهما ، ولكنَّ للبحترى وَلَعًا آخر لا يقل عن ولعه بوصف الخيل وطيف الخيال ، ذلك هو وصف الحركة والسرعة وصفًا يبلغ فيه حدَّ الإبداع ، فهو يدير المعانى فى هذا الباب بما يتفق مع كل ضَرْب من ضُروبه . فحين يصف فرار قائد الرُّوم فى قصيدته التى وصف بها المعركة البحرية (القصيدة ٣٨٧ التى أشرنا إليها) يقول :

مَضَى، وَهْوَمَوْلَى الرِّيحِ ،يَشْكُرُفَضْلَهَا عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ يُولَ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ
تَعَلَّقَ بِٱلأَرْضِ الكَبِيرَةِ بَعْدَ ما تَنَقَّصَهُ جَرْىُ الرَّدَى المُتَمَطِّرِ

فقد جعل هذا القائد الهارب عَبْداً للريح التى ردَّت له الحياة حين أسلم إليها شراعَ مَركبه حتى وصل إلى الشاطئ فتعلّق بالحياة من جديد ، ولكن بعد أن ترك الرَّدى الذى لاحقه آثار المعركة فى نفسه : مرارات خِزْى ؛ وفى جسده : طعنات رماح .

وحين يصف فرار لؤلؤ من ابن طولون يقول (القصيدة ٣٩) :

تَخَطَّأَ عَرْضَ ٱلأَرْضِ رَاكِبَ وَجْهِهِ لِيَمْنَعَ مِنْهُ ٱلْبُعْدُ ما يَبْذُلُ ٱلقُرْبُ
يُحِبُّ البِلَادَ ، وهي شَرْقٌ لِشَخْصِهِ ؛ ويُذْعَرُ منها وَهْيَ مِنْ فَوْقِهِ غَرْبُ
إذا سارَ سَهْباً عادَ ظُهْــرًا عُدَوَّهُ وكان الصَّدِيقَ غُدْوَةً ذلك السَّهْبُ

فهو يصف تفزُّع هذا الهارب الذى يتملكه الهَلَعُ من كل صَوْب ، يحبُّ ما أمامه من السُّهُوب لأن فيها أمل النجاة وهو مسرع لا يلوى على شىء حتى إذا قطع منها سهبًا . أى مفازة ، وخلَّفه وراء ظهره أصبح هذا السهبُ المتخلِّف عدُوًّا له لأنه يتبعه من خلفه كما يتبعه العدوُّ الذى يلاحقه ، فى حين أنه كان يرى — فى أول النهار حين بدأ الفرارَ — كلَّ سَهْب أمامه صديقًا يفتح له أبواب النجاة .

أما الحركة فى الحروب فصُوَرُها تختلف فى معانيها عن صُوَرِها فى الهروب كقوله (فى القصيدة ١) يصف اندفاع الأبطال المحاربين إلى حومة الوغى كالفراش يرتمى فى النار :

وَعَصَائِبٍ يَتَهَافَتُونَ إذا ٱرْتَمَى بِهِمُ ٱلْوَغَى فى غَمْرَةِ ٱلْهَيْجَاءِ
مِثْلِ ٱليَرَاعِ بَدَتْ له نارٌ ، وَقَدْ لَفَّتْهُ ظُلْمَةُ لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ
يَمْشُونَ فى زَغْفٍ كأَنَّ مُتُونَهَا فى كلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونُ نِهَاءِ
بِيضٌ تَسِيلُ على ٱلكُمَاةِ فُضُولُهَا سَيْلَ السَّرَابِ بقَفْرَةٍ بَيْدَاءِ
فإذا ٱلأَسِنَّةُ خالَطَتْهَا خِلْتَها فيها خَيَالَ كَواكبٍ فى ماءِ
أَبْنَاءُ مَوْتٍ يَطْرَحُونَ نُفُوسَهُمْ تَحْتَ المنايا كلَّ يَوْمِ لِقَاءِ

وحين يصف انتهاء معركة تبدَّد فيها شمل الثائرين يقول (فى القصيدة ٦٣) :

وكُنْتُمْ شَعَاعاً مِنْ طَرِيدٍ مُشَرَّدٍ ، وثَاوٍ رَدٍ ، أو خائفٍ مُتَرَقِّبِ
ومن نَفَرٍ فَوْقَ ٱلجُذُوعِ كأَنَّهُمْ إذا الشَّمْسُ لاحَتْهُمْ حَرَابِىُّ تَنْضُبِ

ويصف كذلك معركة ابن مُصْعَب مع الخُرَّمِيَّة أتباع بابك فيقول (فى القصيدة ٢٧ التى أشرنا إليها) .

فمُجَدَّلٌ ، ومُرَمَّلٌ ، ومُوَسَّدٌ ، ومُضَرَّجٌ ، ومُضَمَّخٌ ، ومُخَضَّبُ

سُلِبُوا ، وأَشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً ، فكأَنَّهُمْ لم يُسْلَبُوا

وقد قال أبو هلال العسكرى فى كتاب « الصناعتين » إنّ لفظة (مُحْمَرَّة) حَشْوٌ . ولو تَنَبَّه إلى قول الشاعر قبل ذلك بأبيات فى هذه القصيدة ذاتها :

تِلْكَ ٱلمُحمَّرَةُ ٱلّذِينَ تَهافَتُوا فَمُشَرِّقٌ فى غَيِّهِ ومُغَرِّبُ

لَمَا قال ذلك ؛ لأن البحترىّ يشير فى هذه اللفظة إلى شعار هؤلاء المحمِّرة — أتباع بابَك — وهو اللباس الأحمر فيقول إن دماءَهم قد كَسَتْهُم فكأنهم لا يزالون فى شعارهم الأحمر لم يُسْلَب عنهم .

أما الحركة فى الرحلات فتبدو فى صورة أخرى مختلفة عن تلك الصور فى قوله (فى القصيدة ٥٤٧) :

أَزاجِرٌ أَنَا جُرْدَ ٱلخَيْلِ أَجْشِمُهَا سَيْرًا إلَى الشَّامِ إِغْذَاذًا وإيجَافَا

دَوَافِعٌ فى ٱنْخِرَاقِ ٱلبَرِّ ،مَوْعِدُهَا مَدَافِعُ ٱلْبَحْرِ من بَيْروتَ أَو يافَا

حتى تَحلَّ ،وقدحَلَّ الشرابُ لنا ، جَنَّاتِ عَدْنٍ على السَّاجُورِ أَلْفَافَا

وقوله (فى القصيدة ٢٤٣) :

تَقَاذَفُ بِى بِلادٌ عن بِلاَدِى كأَنِّى بَيْنَهـا خَبَرٌ شَرُودُ

* * *

هذه لمحات سريعاتٌ لبعض المعانى التى جَسَّمها لنا البحترى ، واستطاع أن يصوّرها لنا مَجْلُوَّةً فى الديباجة المشرقة التى وقف عندها الأقدمون معجبين أو ناقدين ، ولم يتعمّقوا الصور ليسبروا الانفعالات النفسية التى كان البحترى ينفضها على الورق بين لفظ عذب وصياغة متأنقة .

وفى الحق أن الرجل كان فنّانًا ماهراً استطاع بوَتَرٍ موسيقىّ وريشة رسّام أن يترك لنا لوحاتٍ رائعة الجمال ، فلقد كان اللفظ مطواعًا له يؤلف بين

حروفه في البيت بما يعبّر عن الجو الذى يريد تصويره . وهذا مثلٌ من قوله (فى القصيدة ٣٨٧) :

يَسُوقُونَ أُسْطُولًا ، كأَنّ سَفِينَهُ سَحَائِبُ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ ومُمْطِرِ

كأَنَّ ضَجِيجَ ٱلْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا ٱخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُجَرْجِرِ

تُقَارِبُ مِن زَحْفَيْهِمُ ، فكأَنَّمَا تُؤَلِّفُ مِنْ أَعْنَاقِ وَحْشٍ مُنَفَّرِ

فما رِمْتَ حتى أَجْلَتِ ٱلحربُ عن طُلًى مُقَطَّعَةٍ فِيهِمْ ، وهَامٍ مُطَيَّرِ

فحرف السّين قد احتلّ مكانه فى البيت الأول ليعطينا صورة ناطقة لسير الأسطول ، ثم يتقدم حرفا الجيم والحاء فى البيت الثانى وقد تراقص بينهما حرف الراء ليعطوا جميعًا صورة الضجيج والحركة ، ثم حرفا القاف والفاء فى البيت الثالث ليعطيا صورة الإقدام والاندفاع . ويختم البيت الرابع بحرفى الطاء والميم ليقدما صورة لتطاير الأشلاء بعد هذا التطاحن ، وللدم المهراق ، ثم للموت المخيم على ميدان المعركة . وفى خلال ذلك يعمل حرف الراء عمله فى تصوير اضطراب الأمواج والصراع المرير .

ويمثّل سَيْرَ المَطِيّ فى الفيافى بحروف السين والطاء والفاء ، ثم يمثل رمال هذه الفيافى ولُغوب المَطِى وكلالَها فى هذه الرحلة بحرف اللام ، وذلك فى جَرْس متناسق بين هبوط وصعود . ويختار لهذا كله البحر الطويل ليتمّ التناسق بين أجزاء الصورة ، وذلك فى قوله (فى القصيدة ٦٣٦) :

قِفِ العِيسَ قد أَدْنَى خُطاها كَلَالُها وَسَلْ دارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُها

وما أَعرِفُ ٱلأَطْلالَ من بَطْنِ تُوضِحٍ لِطُولِ تَعَفِّيها ، ولَكِنْ إِخَالُها

ونستمع إليه يمثّل بحرف السين حالتَه النفسيةَ والسأمَ واليأسَ اللّذين كانا قد استوليَا عليه ، والأسى الملازم له ، ثم الرغبةَ فى التأسّى عما أصابه من أحداث ، والسموّ على هذه الأحداث فى قوله فى إيوان كِسْرَى ملك الفُرس (القصيدة ٤٧٠) :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ

وتماسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْـ ـرُ ٱلْتِمَاساً مِنْهُ لِتَعْسِي ونَكْسِي

وقوله :

أَتَسَلَّى عن ٱلْحُظُوظِ وآسَى ... لِمَحَلٍّ من آلِ سَاسَانَ دَرْسِ

وكأنه وجد لهذه السين محلاً ثابتًا فى اسم صاحب الإيوان وفى اسم شعبه ، فتمَّ الانسجامُ بين أجزاء الصورة . وبهذا الجَرْس الذى بزَّ به البحترىُّ غيرَه من الشعراء استطاع أن يعطى معانيه قوة مستمدة من أعماق نفسه ، وأن يصل بها إلى أعماق نفوس الآخرين . وصدق حين قال (فى القصيدة ٣٧٩) :

عَلَيَّ نَحْتُ ٱلْقوَافِى مِنَ مَقَاطِعِها ... وما عَلَيَّ لهُمْ أَنْ تَفْهَمَ ٱلْبَقَرُ

فحرف القاف هنا لم يجئ عَبَثًا أو اعتباطًا ، وإنما جاء ليمثل الدور الذى يقوم به البحترى فى قوة واقتدار فى قطع الصخور — شأنَ الفنَّانَ المقتدر — ليخرج منها فى دِقَّةٍ ورِقَّة تماثيله الخالدة .

ومقدرة البحترى فى هذا الباب عجيبة تدل على علم بعيد الغَوْر بمعانى الحروف ، وفنيَّةٍ بارعة فى التأليف بينها ، فهو يجمع بين الأحرف المتقاربة حتى لا تحس الأذن تنافراً إذ يجعل من وشائج القُرْبَى بين هذه الحروف أساسًا يرتكز عليها فنُّه كما فعل فى السين والشين والصاد والضاد حين أظهرها مجتمعة متآلفة ، ثم أخذ من الجَرْس القريب بين السِّين والثاء ، وبين الضاد والدال ، وسيلة لإظهار هذين الحرفين فى فترات متباعدة وسط هذا الموكب الموسيقىِّ البديع فى قوله (القصيدة ٤٨٢) :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلاَبِسِيهِ وبَيَّضَا ... ونَضَا من السِّتِّينَ عَنْهُ ما نَضَا

وشَآهُ أَغْيَدُ فى تَصَرُّفِ لَحْظِهِ ... مَرَضٌ أَعَلَّ بهِ الْقُلُوبَ وأَمْرَضَا

وكأَنَّهُ ٱلْفَى الصِّبَا وجَدِيدَهُ ... دَيْناً دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى

أَسْيَانُ أَثْرَى مِنْ جَوًى وصَبَابَةٍ ... وأَسَافَ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ وأَنْفَضَا

وتبدو هنا هذه المقدرة فى بساطة ورِقَّة فى قوله (القصيدة ٨٤٦) :

أَرَّقَ ٱلْعَيْنَ أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِى ... فرَّقتْ بينَهُ اللَّيَالِى وبَيْنِى

فمثَّل الأرقَ بحروف هذه اللفظة موزعةً توزيعًا عجيبًا فى ألفاظ البيت كله . ثم ترك لحرف النون . وهو متردد بين الألفاظ تمثيل النوم المشرَّد ، ثم تمثيل البين دون أن ترد لفظة « البين » بمعناها الأصيل .

وأمثلة ذلك من تصوير المعانى بالحروف كثيرة فى شعر البحترى أردت أن أجتزئ بالقليل منها هنا .

* * *

أما معانيه فى الوصف . إن اشترك فيها مع شعراء معاصرين له أو سابقين فهى تمتاز بحسن السبك . وتتابع أجزاء الصورة ، وبخاصة فى وصف مظاهر الطبيعة . ومن يستمع إلى شعره فى هذا الباب يحس افُتتان الشاعر بهذه المظاهر ، وشعوره بأن بينه وبين الربيع وشائجَ قُرْبَى ؛ فهذا بالألوان يرصف الزهر ، وهذا بالألحان يرصف الشعر : فى عذوبة ورِقَّة ، وإحكام ودِقَّة .

لم يظفر ديوان البحترى – على قوّة شاعريته – بما ظفر به ديوان أبى تمام عند الأقدمين من كثرة الجمع والشرح والتعليق . وقد ظل شعره غير مرتّب حتى جاء أبو بكر محمد بن يحيي الصُّولى (المتوفى سنة ٣٣٥هـ) فجمعَهُ فى مجلّدين – كما قال ياقوت الحمويّ فى « معجم الأدباء» (١٩ : ٢٥١) – ورتّبه على حروف المعجم . وجمعَهُ علىّ بن حمزة الأصفهانى (أبو الحسن علىّ بن حمزة ابن عمارة بن حمزة بن يسار بن عثمان، المتوفى سنة ٣٧٥هـ) ورتّبه على الأنواع كما صنع بديوان أبى تمام .

وعلى الرغم من أن « ياقوت » قد ذكر فى ترجمته للبَحَّاثى أنه اطلع على شرح لديوان البحترى ؛ فإننا لم نجد فيما بقى لنا من التراث العربى شرحًا كاملاً أو تعليقًا على كل شعره سوى كتاب « عبث الوليد» الذى وضعه أبو العلاء المعرّى (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) وأثبت فيه ما أصلحه من الغلط الذى وجد فى النسخة التى قرئت عليه وكان مكتوبًا فى آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العِجْلىّ ؛ وقال « ولم يمكن إثبات جميع الأغلاط لأن أكثرها غير مُخِلّ» .

على أن لكتاب « عبث الوليد » – وإن لم يكن تعليقًا كاملاً أوشرحاً بمعنى هذه الكلمة – الفضل فى توجيهنا نحو البحث عن شعر البحترى الذى لم ينشر فى طبعات ديوانه .

فهذا ياقوت يذكر فى « معجم الأدباء» (٨ : ٨٥) حين يترجم لأبى القاسم الحسن بن بِشْر الآمِدِىّ (المتوفى سنة ٣٧١هـ) من بين مؤلفات الآمدى بعد ذكر كتابه « الموازنة بين أبى تمّام والبحترى » أن له كتابًا عنوانه « معانى شعر البحترى » ، وكذلك يذكره السيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (المتوفى سنة ٩١١ هـ) فى « بغية الوعاة » (٢١٨) .

وحين يترجم ياقوت لأبي جعفر محمد بن إسحاق بن عليّ البَحَّاثي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بغَزْنة (من مدن أفغانستان الآن) يقول (معجم الأدباء ١٨ : ٢٢) :
« ولم أرَ من تصانيف البحاثي هذا شيئًا إلاّ " شرح ديوان البحتري "، ولَعَمْرِي إن هذا شيء ابتكره . فإني ما رأيت هذا الديوان مشروحًا . ولا تعرَّض له أحد من أهل العلم ، ولا سمعت أحداً قال : إني رأيت ديوان أبي عبادة البحتري مشروحًا . وتأمَّلْتُه فرأيته قد ملئ علمًا . وحُشِيَ فهمًا ؛ وذاك أن شروح الدواوين المعروفة كأبي تمام والمتنبي وغيرهما تساعدت القرائح عليها وترافدت الهمم إليها ؛ وما أرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدةً إلاّ أن يكون كتاب " عبث الوليد " للمعرّي وكتاب " الموازنة " للآمِدِيّ لا غير » .

وفي ترجمة أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم الخَبْرِي ، نسبة إلى « الخَبْر » من قرى شيراز بفارس ، والمتوفى ببغداد سنة ٤٧٦ هـ . قال ياقوت (معجم الأدباء ١٢ : ٤٧) والسيوطي (بغية الوعاة ٢٧٦) إن الخَبْرِيَّ شرح الحماسة وديوان البحتريّ وعدّة دواوين أخرى . وجاء في تلخيص ابن مكتوم (٨٨) وهو يترجم للخَبْري أنه شرح الحماسة ودواوين البحتري والمتنبي والرضيّ الموسويّ .

[وفي ترجمة علي بن زيد البيهقيّ المتوفى سنة ٥٦٥هـ ذكر ياقوت أن له كتاب « شرح البحتري وأبي تمام »] .

ولكننا لم نظفر بشيء من شروح الآمديّ والبحّاثي والخَبْرِي [والبيهقيّ] .

ويذكر بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » (١ : ٥١ الترجمة العربية طبع دار المعارف) أنه يوجد شرح قصائد للبحتري وأبي تمام في مكتبة عاشر أفندي برقم ٩٨٥ .

طبعات الديوان السابقة

أما طبعات الديوان السابقة لطبعتنا هذه فهى ثلاث :

● الأولى : طبعت بمطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٣٠٠ﻫ (١٨٨٢م) وهى فى جزأين : الأول وعدد صفحاته ٢٥٩ ؛ والثانى وعدد صفحاته ٢٦٠ . وقد بلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٥٦٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٩٨٩ بيتًا .

وقد طبعت على المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريلى بالآستانة برقم ١٢٥٢ وهى بخط علىّ بن عبيد الله الشيرازى كتبها بمدينة تبريز سنة ٤٢٤ﻫ . وقد وصفناها عند الكلام على مخطوطات الديوان ورمزنا لها بحرف (ا) .

وهذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ولم تظفر بعناية فى التصحيح فهى محشوّة بالأخطاء والتصحيف والتحريف على الرغم من أن المخطوطة التى نقلت عنها مضبوطة تمام الضبط . دقيقة خالية إلا فى النادر من التصحيف والتحريف . ولم ترتب قصائدها على حروف المعجم . ولكنها — كالمخطوطة التى نقلت عنها — مرتّبة بأسماء الأشخاص الذين وجهت إليهم القصائد ؛ كما سنبين ذلك عند الكلام على المخطوطة التى طبعت عليها .

● الثانية : طبعت فى بيروت فى المطبعة الأدبية سنة ١٩١١ ، وهى مضبوطة بالشكل الكامل . وعلّق حواشيها الشيخ رشيد عطيّة وهى فى جزأين عدد صفحاتهما ٧٩٩ منقولة عن طبعة الجوائب .

وقد ذيّلها شارحها بكلمة ردّ فيها على ما جاء فى مجلّتى (المقتبس) و(المشرق) حين ظهر الجزء الأول من طبعته . فإنّ مجلة (المقتبس) أخذت عليه حذفه طائفة من أبيات الديوان وكان واجب الأمانة يقضى بإبقائها ؛ أما مجلة (المشرق) ، فقد ودّت لو أن الشرح تناول معانى الأبيات برمّتها ولم ينحصر فى الألفاظ فقط ، وأن تُجعل للديوان فهارس للأعلام وغيرها ، وأن يُبسط قبل كل قصيدة السبب الذى دعا الناظم إلى نظمها . فقال الشارح ردًّا على هذا إنه

يعجب من أن تعمد مجلة (المقتبس) إلى هذا المأخذ فى حين أن المحذوف من الأبيات إنما هو مُنافٍ للأدب فى لفظه ومعناه .

وقال عن رغبة مجلة (المشرق) إنه لم يقتصر فى الشرح على الألفاظ ، بل تعدّاها فى مواضع كثيرة إلى شرح الأبيات وإيضاح النكات النحوية وما دعا إليه السياق من الفوائد اللغوية ، واعتذر بأنه لو توسَّع فى الشرح وأعدَّ الفهارس المطلوبة لجاء الكتاب مضاعفًا فى الحجم والثمن .

وبلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٥٤٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١١٥٨٥ بيتًا .

وهى كطبعة الجوائب فى ترتيب قصائدها .

وهذه الطبعة لم تسلم من أخطاء كثيرة فى الضبط ، وبُعْدٍ فى الشرح عن المعنى الذى رمى إليه الشاعر ، وحذفٍ للأبيات التى يغمض معناها . ولم نتصدَّ إلى التنديد بأخطائها تاركين للقارئ بالمراجعة بين شرحنا وذلك الشرح أن يتبين هذا البعد، شاكرين للشارح الفاضل جهده الذى بذله . وحَسْبُنا أن نكون قد قمنا عنه ببعض العبء فى تصحيح ما أخطأ فيه وتوضيح ما غمض عليه . ولكننا نجد لزامًا علينا أن نشير إلى طُرَف قلائل من هذه المآخذ لنعطى القارئ صورة سريعة تبصِّره ببُعد تلك الطبعة فى المعنى عما قصده الشاعر :

من ذلك تفسير « صامتى » فى البيت ١٦ من القصيدة ٢ بأن « الصامتى صاحب فضة وذهب » (طبعة بيروت صفحة ٧١٣) ، والصحيح أنه نسبة إلى الصامت وهو من بنى عمرو بن الغوث بن طيِّئ .

والبحترى يردد كثيراً لفظتى الصامت والصامتىّ حين يمدح أبا سعيد الثغرى الطائى وآل حميد الطائيين لأنهم يرجعون بالنسب إلى الصامت .

قول الشاعر « كأن لم يَرَوْا سيمَا الطويلَ وجَمْعَهُ » (البيت ٢٤ من القصيدة ٣٩ صفحة ١٢٥ فى طبعتنا) جاء مضبوطًا فى طبعة بيروت صفحة ٥٢٢ « سيمَا الطويلِ » وفُسِّر بأن « سيما : شارة ومخيلة وعلامة » فى حين أن سيما الطويل اسم قائد حاربه ابن طولون ، وللبحترى فيه هجو ومدح .

جاءت لفظة « العَمْقُ » الواردة فى البيت ٣٥ من القصيدة ٢٢٩ وهى كُوَرٌ

بنواحي حلب وكانت أولاً من نواحي أنطاكية (انظر صفحة ٥٤٨ من طبعتنا) مضبوطة فى طبعة بيروت صفحة ٤٦١ « العُمق » ولم يشرحها ناشر تلك الطبعة .

شرح قول الشاعر فى البيت ١٨ من القصيدة ٥٠٦ : « إذا اعترض الخابور دون جيادنا » بأن « الخابور شجر » (طبعة بيروت ٣٠٥) والحقيقة أنه هنا يشير إلى نهر الخابور .

شرح قول البحترى ١٠ من القصيدة ٤٩٦ « بقُطْربُّل أعلاجُهُ وأنابطُهْ » فقال « الأعلاج : الحمير . والأنابط من الخيل : ما يكون تحت آباطها وبطونها بياض » (طبعة بيروت ١٨٠) . والصحيح أن الأعلاج جمع العلوج لفظ يطلق على الأعاجم ، والأنابط هم النبط قوم أيضًا .

ورد البيت ٣ من القصيدة ٧٥٢ (صفحة ٣١٦ بيروت) هكذا :

نسيتْ موقف الجمار وشخصاً نا كشخص أرى الجمار وتَرْمِى

وشرحه قائلا : « نا : لعله يريد كنا » . والصحيح « وشخصانا » ويريد أنهما كانا ملتصقين فكأنهما شخص واحد .

وغير ذلك كثير ، لا نريد حصره ولا تتبّعه . ولكنّا نريد كما ذكرنا توجيه لمحة خاطفة .

● الثالثة : طبعت فى القاهرة بمطبعة هندية بالموسكى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) . وجاء فى صفحتها الأولى أنها منقولة عن نسخة مشكولة قديمة كتبت فى سنة ٤٢٤هـ بخط علىّ بن عبد الله الشيرازىّ ، أى أنها منقولة عن طبعة الجوائب . ولكنّها تختلف عن تلك الطبعة من حيث ترتيب القصائد ، فقد جاء كذلك فى صفحتها الأولى أنها « مرتّبة على حروف الهجاء » ، وأنها « قُوبلتْ على نسخة خطيّة بالكتبخانة الخديوية » ، ولم يُذكر رقم هذه المخطوطة الّتى قوبلتْ عليها ، وذكر على هذه الصفحة أن الذى وقف على طبعها وضبطها وتصحيحها المرحوم الشيخ عبد الرحمن البرقوقى .

ومن المقدمة التى أُلْحِقَتْ بهذه الطبعة يتبيّن لنا أنها رجعت على المخطوطة رقم ٢٧ م المحفوظة بدار الكتب المصرية والتى رمزنا لها بحرف « ى » (راجع

وصفنا لها فيما بعد) وهي مخطوطة مشحونة بالتحريف والتصحيف وفي أوّلها مقدمة تشتمل على أخبار البحتري منقولة مما جمعه الصُّولي من أخباره مع أخبار أخرى واردة في بعض الكتب التي ترجمت للشاعر ، وهي الملحقة بأول تلك الطبعة .

ولما رجعنا إلى هذه المخطوطة وجدنا أن تلك الطبعة لم تستفد بكل ما في هذه المخطوطة من زيادات ، فقد أضافت شيئًا ، وتركت شيئًا .

على أنه ممَّا يؤسف له أن هذه الطبعة جاءت مشوَّهة أشد التشويه ، محرَّفة أفضح التحريف ؛ وليست مضبوطة ولا مذيَّلة بأقلّ تفسير أو شرح . وقد نقصت منها بعض قصائد موجودة في الطبعتين السابقتين ، ولكنها زادت عليهما بعض قصائد أخرى .

ولقد بلغ عدد قصائد هذه الطبعة ٦١٠ قصيدة ومقطوعة تضم ١٢٣٠٣ أبيات .

طبعتنا

أمَّا طبعتنا هذه فقد راجعناها على خمس عشرة مخطوطة صوَّرناها من باريس والآستانة وهال (ليبزج) وميونيخ بألمانيا والمدينة المنوَّرة والقاهرة . وهذه المخطوطات يختلف بعضها عن بعض فى الرواية والدقة فى تلك الرواية . كما يختلف بعضها عن بعض فى النقص أو الزيادة فى عدد القصائد وعدد الأبيات ، بل فى ترتيب الأبيات كذلك ، وأحيانًا فى مناسبة القصيدة . . .

وقد اخترنا من هذه المخطوطات واحدة جعلناها أُمًّا . وأخذنا بترتيبها . وهذه النسخة التى اخترناها هى المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية فى باريس برقم ٣٠٨٦ ، وهى أقدم مخطوطة وقعت لنا من الطبقة رُتِّبتْ فيها القصائد على حروف المعجم ؛ إذ يرجع تاريخها إلى سنة ٦١٠ هـ .

وهذه المخطوطة على ما فيها من ميزة الزيادة فى عدد القصائد ناقصة ، فقد وجدنا فى المخطوطات الأخرى قصائد لم ترد فى هذه المخطوطة التى اتخذناها أُمًّا ، فألحقنا فى نهاية كل قافية ما وجدناه فى كل نسخة حسب أقدميتها .

* * *

وقد بلغ عدد قصائد طبعتنا **٩٣٣** قصيدة ومقطوعة تضم **١٥٩٥٠** بيتًا ، أى بزيادة ٣٧٢ قصيدة ومقطوعة عن طبعة الجوائب ، و**٣٩٣** عن طبعة بيروت ، و**٣٢٣** عن طبعة مصر .

أما من حيث عدد الأبيات فإن الزيادة فى طبعتنا بلغت كالآتى : ٣٩٦١ عن طبعة الآستانة ، و٤٣٦٥ عن طبعة بيروت ، و٣٦٤٧ عن طبعة مصر .

* * *

هذا غير اللَّحق الذى ضمَّ طائفة كبيرة من الأبيات نُسبت للبحترى فى عدد من كتب الأدب ، ولكننا لم نجدها فى مخطوطات الديوان ، فأثبتناها وفاء لواجب الأمانة العلمية ، وإن كنَّا نشكُّ فى نسبة الكثير منها لشاعرنا .

وثَمّةَ لَحَقٌ آخر يضم القصيدتين اللتين هجا بهما عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أبا عبادة البحتريّ . وقد أشرنا إلى هاتين القصيدتين وقصتهما فى صفحة٢٠٧.

* * *

وقد ختمنا الديوان بعدد من الفهارس الفنية التى تكشف عن ثروة هذا الشاعر اللغوية والعلمية والتاريخية ، والتى تفتح للقارئ مغاليق الديوان، وتعينه على تعرُّف معالم هذه الشاعرية الفذة .

* * *

وكان منهجنا فى تحقيق هذا الديوان منحصراً فيما يلى :

١ — مراجعة نصوص المخطوطات جميعها فى كل بيت ومقابلتها بعضها ببعض ، ثم إثبات ما تتفق عليه أغلبية النسخ إذا كان نص المخطوطة الأم « ب » بعيداً عن طبع البحترى .

٢ — إثبات ما فات النسخة الأمّ من أبيات فى مواضعها .

٣ — الإشارة أيضًا إلى الاختلاف فى روايات النسخ .

٤ — تركنا بعض الأبيات التى انفردت بها بعض النسخ وتعذّر علينا تقويمها أو تبيُّن وجهها الصحيح على حالها ، معقِّبين فى الحواشى على ما نرى وجه الصواب فيه حتى لا نتحكم فى وجه قد يكون بعيداً عن تقديرنا .

٥ — أضفنا فى نهاية كل قافية ما ورد من قصائد أو مقطوعات فى النسخ الأخرى مما لم يرد فى النسخة الأم ، وراعينا فى إثبات ذلك أقدمية كل مخطوطة ، مشيرين إليها برمزها .

ثم أتبعنا اختلاف الروايات فى الحواشى بشرح الكلمات أو توضيح المعنى إذا وجدنا ما يدعو إلى ذلك ، ثم شرح الحادث التاريخى الذى يشير إليه البيت ، والتعريف بالأعلام والأمم والقبائل والعقائد والمذاهب والمِلَل والنِّحَل وما يتصل بها من مراسيم وأزياء ، والأعياد والأيام المشهورة والوقائع والحروب وما يتصل بها من سلاح وأدوات ، والمواضع من بلدان وأنهار وجبال وآثار وما يشبه ذلك ، ثم

ما يتصل بالإنسان فى حياته الاجتماعية من وظائفه ومجالس علمه وعمله وأنسه ولهوه وشرابه وزينته ولباسه ، وما يصيبه من آفات أو علل ، ثم كل ما يتصل بالظواهر الطبيعية فى الأرض والسماء ، والحيوان والطير والزهر والمعادن والأحجار ، وما يتعلق بهذا كلّه . وأشرنا إلى ما ضمّنه البحترى فى شعره من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أبيات شعر أو حِكَم وأمثال .

ثم أتبَعنا ذلك جميعه بسرد تاريخى لنصوص أبيات البحترى فى كتب الأدب المختلفة حسب أقدمية كل كتاب ليقوم أمام القارئ موكب تاريخى للبيت وروايته على مرّ العصور : فإذا اتفق النص فى كتب الأدب مع رواية البيت اكتفينا بذكر المصدر وحده والصفحة التى جاء فيها . أما إذا اختلف النص ذكرنا الرواية التى ورد بها فى ذلك المصدر ، كما أتبعنا الإشارة إلى ورود النص فى تلك الكتب إذا جاء فيها غير منسوب له أو منسوبًا لغيره . وقد بذلنا ما استطعنا من جهد فى مراجعة العدد الضخم من كتب الأدب والتاريخ التى لم تفهرس لنستخرج منه ما ورد من شعر البحترى مقلّبين صفحاتها صفحة صفحة لنلمّ قدر الإمكان بما فيها من هذا الشعر منسوبًا أو غير منسوب . ولا أريد أن أكون مبالغًا فأقول إنى استوفيت هذا الباب تمام الاستيفاء . فقد يكون هناك بعض أبيات وردت فى بعض الكتب فاتنى إثباتها أو فاتنى الاطلاع عليها فى بعض كتب ما زالت مخطوطة .

* * *

وقد قدمنا حواشى القصائد بذكر موضع كل قصيدة فى طبعات الديوان الثلاث وبيان ما فى كل منها من نقص فى عدد الأبيات ، ثم نعقبه بذكر ورود القصيدة فى أىٍّ من المخطوطات التى رجعنا إليها ، ثم الترجمة للشخصية التى وجهت إليها القصيدة .

ثم نثبت المحاولة الشاقة التى أضنتنا فى تحقيق هذا الديوان ، وهى محاولة التأريخ للقصائد ، فقد استقرَيْنا قصائد الديوان جميعها من واقع الحوادث التى يشير إليها الشاعر ، وقد يتّفق أن يذكر حوادث قديمة اشترك فيها الممدوح فى حين أن القصيدة لا ترجع إلى تاريخ تلك الحوادث ، وإنما استطرد الشاعر فى الحديث

عنها ، وهو يذكر بطولة ممدوحه فنحاول التعمق فى حياة الممدوح وصلة الشاعر به لنصل إلى التاريخ الحقيقى لنظم القصيدة . وفى أحيان أخرى كنا نجعل ألفاظ الشاعر التى يستعملها ويتردد ورودها على لسانه وقلمه وتراود خاطره فى حقبة من الزمن أساسًا نرتكز عليه فى تحقيق تاريخ هذه القصائد .

أما القصائد الغزلية فقد أرجعناها إلى مرحلة الصبا[1] ، وهى الحقبة التى جعلنا نهايتها سنة ٢٢٠هـ أى حين كان الشاعر فى السادسة عشرة من عمره على أساس أن ميلاده كان فى عام ٢٠٤ هـ . حيث اختلف فى تاريخ ولادته . فقد جاء فى « معجم البلدان» فى مادة« حُرْدُفْنَة »[2] أنها من قُرى منبج من أرض الشام ، بها كان مولد أبى عُبادة الوليد بن عُبَيد البحترى الشاعر فى سنة ٢٠٠ فى أول أيام المأمون وهو بخراسان . وقال ياقوت : « ذكر ذلك أبو غالب همّام بن الفضل ابن المهذب المعرّى فى تاريخ له ». ثم قال : « وقال غير ابن المهذب : ولد البحترى فى سنة ٢٠٥ ، ومات سنة ٢٨٤ » . ومنهم من ذكر أنه ولد سنة ٢٠٤ وقد أخذنا بهذا ، ومنهم من قال سنة ٢٠٥ ومنهم من قال سنة ٢٠٦ . كما اختلف فى وفاته فقيل سنة ٢٨٣ ، وقيل سنة ٢٨٤ ، وقد أخذنا بهذا . وقيل سنة ٢٨٥ هـ .

وقد بلغ عدد القصائد التى لم نستطع تحديد تاريخ قاطع لها حوالى ٥٠ قصيدة ومقطوعة من ٩٣٣ قصيدة ومقطوعة هى مجموع شعر الديوان .

---

(١) راعينا فى هذا التحديد ضعف هذه القصائد وسذاجتها .

(٢) ذكرها ابن خلكان فى ترجمة البحترى فقال « زردفنة » ثم ضبطها بالعبارة فقال : « بفتح الزاى ، وسكون الراء ، وفتح الدال المهملة وسكون الفاء ، وفتح النون ، وبعدها هاء ساكنة ، وهى قرية من قرى منبج بالقرب منها » .

مخطوطات الديوان

لديوان البحترى عدد ضخم من المخطوطات عرفنا منها أربعين مخطوطة موزعة فى أنحاء العالم ، تتفاوت استيفاء لشعره أو نقصاً ، كما تتفاوت فى أعمارها بين القديم والحديث .

وقد ذكر المستشرق الكبير الدكتور كارل بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » هذه النسخ التى نذكر أماكن وجودها وأرقامها كما يلى :

بريل	٢١٦	يكى جامع	٩٤٦	مشهد	٢٧
ليدن	٦١١	ڤينّا	٤٥٠	لا له لى	١٧٣٣
كوبريلىّ	١٢٥٢	باريس	٣٠٨٦	عاشر أفندى	٨١٩
ميونيخ	٥٠٨	حميدية	١٠٨٤	عمومية	٥٦٩٤
بطرسبورغ	٢٦٧		١٢٠٧		

وقد تفضّل الأخ الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب حين كتبتُ إليه وهو فى تركيا عام ١٩٤٩ طالباً إليه أن يدرس لى مخطوطات الديوان الموجودة هناك مما ذكره بروكلمان ، فوصفها لى قائلاً إن الموجود منها — ما عدا نسخة كوبريلى ١٢٥٢ — لا يغنى بل لا يفيد فى نشر الديوان ، وهاك وصف ما أطلع عليه ؛ منتهزاً هذه المناسبة لأسجل فضله ومعاونته لى فى تيسير الحصول على كثير من المراجع التى استندت فى التحقيق عليها .

يكى جامع ٩٤٦ : نسخة من الديوان خطها نسخ حسن فى ٢٢٤ ورقة مسطَّرتها ٢٥ ومقاسها ٢٠×٢٨,٥ سم ، كتبت فى القرن الحادى عشر ، آخرها قصيدة يمدح بها محمد بن على القُمِّىّ ويصف الفرس والسيف (القصيدة ٦٧٤) التى مطلعها :

أَهلاً بذلكمُ ٱلخيَالِ ٱلمُقْبِلِ فَعَلَ ٱلذى نهواهُ أَمْ لم يَفعَلِ

لاله لى ١٧٣٣ : نسخة من الديوان فى ٢٥٥ ورقة ، مسطَّرتها ٢٥ ، كتبت سنة ١٠٣٩ هـ . وهى رديئة وبها آثار رطوبة .

حميدية ١٠٨٤ : عادية ، كتبت فى القرن الحادى عشر . أما رقم ١٢٠٧ فليست الديوان ولكنها نسخة من الموازنة كتبت سنة ١٠٨٤ هـ .

عمومية ٥٦٩٤ : هى منتخب من ديوان البحترى فى ٢٢٩ ورقة مسطَّرتها ٢٥ وخطها ردىء ومملوءة بالأغلاط ، كتبت سنة ١٢٦٠ هـ عن نسخة المصنف « أى المنتخب » وفى نهايتها ما يلى :

« هذا آخر ديوان البحترى عفا الله عنه . قال محررها محمد أمين العمرى ابن خير الله الخطيب العمرى الموصلى : وجدت ديوان البحترى كاملاً وهو خمسة عشر ألفًا من الأبيات وثلاثمئة وستين وأكثر ، هجواً ومدحًا ؛ فانتقيت منه هذه الكراريس «زها» على «إحدى عشر» ألف بيت . وأسقطت غالب الهجاء وبعض المدايح الموحشة الألفاظ المعقدة العبارة . على أنه كله« غادت » الشعر وبكر النظم . لكن الشىء لا« يخلوا » من الجيد والردىء إلا ما ندر والحمدلله كماله وتمام اختصاره وختام رسمه وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه أجمعين . كان الفراغ منه نهار الثلاثاء ثالث وعشرين من صفر الخير المبارك فى سنة ألف ومائة وخمسة وسبعين [تاريخ التأليف] ، وكان الفراغ من نقله من خط المؤلف رحمه الله فى عشر خلت من شهر رمضان الشريف عام ١٢٦٠ » .

عاشر أفندى ٨١٩ : مختارات من ديوان البحترى . لم يكتب اسم الذى اختارها ، وهى بخط نسخ معتاد ، وقد حصلنا على صورة منها ، وسنصفها مع الكلام على المخطوطات التى جمعناها .

• • •

وكتب إلىّ من العراق الأستاذ كوركيس عوّاد رسالة فى سنة ١٩٥٢ يقول لى فيها إنه عثر على أربع نسخ من الديوان فى بغداد :

ثلاث فى خزانة الأوقاف العامة أرقامها : ٤٨٧ وتاريخها ١١٨٤ هـ ، ٤٩٢

وتاريخها ١١٦٠ هـ ، ٥٧٢٩ وهى قطعة من الديوان غير مؤرخة .

والرابعة فى خزانة الأستاذ يعقوب سركيس ، وهى قطعة من الديوان ، ذكر فيها أنها كتبت سنة ٧٤٢ هـ . ويقول الأستاذ عوّاد إن هذا ليس بصحيح فإن هذا التاريخ مزوّر ، وقد مُحِيَ منها اسم « البحترى » ووضع بديلاً منه « الحميرى » .

وذكر الأستاذ عوّاد أنه عثر كذلك على ثلاث نسخ فى مدينة الموصل ، وهى :

١ — نسخة فى المدرسة الأحمدية ، ذكرها الدكتور داود الجلبى فى كتابه « مخطوطات الموصل » (ص٢٣ رقم٤) ، فقال : « ديوان البحترى جمع أبى الحسين بن الحاجب البغدادى » .

٢ — نسخة فى جامع الباشا ، ذكرها الجلبى (ص ٤٨ رقم ١٨) ولم يزد على قوله « ديوان البحترى » .

٣— نسخة فى المدرسة الحسينية ، ذكرها الجلبى (ص١٢٣ رقم٢٠٧) ، وعليها العبارة المكتوبة على نسخة (عمومية ٥٦٩٤) التى وصفناها من قبل . فهى بخط محمد أمين العمرى ، أى أنها صورة أخرى لتلك ، ومنقولة عن النسخة ذاتها المكتوبة سنة ١١٧٥هـ .

ثم ذكر الأستاذ عوّاد النسخ الأخرى فى غير العراق فقال :

(ا) نسخة فى حلب لدى ورثة الحاج قَنَدُّور الحلبى ، ذكرها القس سباط فى ذيل فهرسته .

(ب) نسخة فى خزانة الفاتيكان ، ذكرها دلاَّفِيدا فى فهرس المخطوطات فى الفاتيكان برقم ١٣٧١ وهى قطعة صغيرة من الديوان ضمن مجموع خطىّ ، والقطعة تبدأ بالورقة ١ وتنتهى بالورقة ٢٧ .

(ج) فى الآستانة أربع نسخ وهى :

نسختان فى خزانة كوبريلى برقم١٢٥٢ و١٢٥٣ [وقد حصلنا على صورة الأولى وسنصفها] .

نسخة فى خزانة يكى جامع برقم ٩٤٦ [مرّ ذكرها ووصفها] .

نسخة فى خزانة حميدية برقم ١٠٨٤ [مرذكرها ووصفها ، ولم يذكر لنا الأستاذ عوّاد النسخة الثانية التى أشار إليها بروكلمان] .

(د) فى باريس نسختان هما :

نسخة فى المكتبة الأهلية برقمها ٣٠٨٦ [هى التى صورناها واتخذناها أمًّا لطبعتنا] .

نسخة أخرى فى هذه المكتبة رقمها ٣٣٠٠ وهى منتخبات من أشعار المتنبي والبحترى ، قوامها ١٤٠ ورقة فى كل صفحة ١٧ سطراً ، وهى من مخطوطات المائة الثامنة للهجرة .

أما باقى النسخ فهى موزعة كالآتى :

١ ــ فى مكتبة غوطا نسخة رقمها ٢٦ .

٢ ــ فى مكتبة ميونخ نسخة رقمها ٥٠٨ [لدينا صورة منها وسنصفها] .

٣ ــ نسخة مكتبة ڤينا ورقمها ٤٥٠ [ذكر الأستاذ مرجليوث فى « دائرة المعارف الإسلامية » أنها مشابهة لنسخة كوبريلى] .

٤ ــ نسخة مكتبة بطرسبورغ رقم ٢٦٧ M .

٥ ــ وفى مكتبة برلين قطعة من الديوان رقمها ٧٥٤٠ (فهرست آلورد Ahlwardt [جاءت فى كتاب « تاريخ الأدب العربى » لبروكلمان (١ : ٥١ الترجمة العربية) أنها مختارات من الديوان] .

وفى مكتبة ليدن ثلاث نسخ وهى :

نسخة رقم ٦١١ [جاء فى كتاب « تاريخ الأدب العربى » أنها أول] .

نسخة رقم ٦١٢ وتاريخها سنة ١٢٨٨ هـ .

نسخة رقم ٦١٣ وتاريخها سنة ١٣٠١ هـ

هذا ، وقد وجدنا فى كتاب « تاريخ الأدب العربى » لبروكلمان ١ : ٥٢ الترجمة العربية) ذكراً لوجود قطعة من قصيدة البحترى التى مدح بها أبا سعيد

محمد بن يوسف مع ترجمة تركية لمحمد بن شرف الدين فهرست مكتبة أذربيجان ٢ : ٣٩٥ — ٣٩٦ . وقد أشار بروكلمان إلى هذه القطعة ، وهى الأبيات ٤١ وما بعدها من القصيدة ٦٢ (وانظرها فى طبعتنا هذه صفحة ١٨٨ — ١٨٩) وتبدأ هذه الأبيات بقوله :

يا أَهْلَ حَوْزَةِ أَذْرَبِيْجَان ٱلأُلَى حَازُوا ٱلْمَكَارِمَ مَشْهَدًا وَمغِيبَا

* * *

وقد استطعنا أن نحقق طبعتنا هذه على خمس عشرة نسخة مخطوطة سنصفها فيما بعد ؛ وهذه المخطوطات التى اجتمعت لنا تنقسم إلى أربع مجموعات :

١ — مجموعة رُتبت القصائد فيها على الأشخاص . وعلى رأس هذه المجموعة مخطوطة كوبريلى التى رمَزْنا لها بحرف (ا) ؛ وأخواتها د ، و ، ز ، ط ، م ، ن ، س .

٢ — مجموعة مرتَّبة على حروف المعجم . على رأسها مخطوطة باريس التى رمَزْنا لها بحرف (ب) واتخذناها أمًّا فى تحقيق الديوان . وتسير فى ركابها خطوة فخطوة مخطوطة ميونخ التى رمزنا لها بحرف (ج) . أما المخطوطتان هـ ، ى فتختلفان أحيانًا فى ترتيب قصائد كل قافية عن المخطوطة (ب) ، وتتفقان معها أحيانًا فى بعض الترتيب .

٣ — مجموعة رتبت القصائد على أبواب ، كل باب فى غرض بعينه كالمديح أو الفخر ، أو الرثاء ؛ إلى آخر هذه الأبواب . وهذه المجموعة تنضوى تحت لوائها النسختان اللتان رمزنا لهما بحرفى (ح) ، (ل) .

٤ — ثم مجموعة جمعت بين ترتيب نسختى الأبواب فى أولها ، واختلفت عنها بعد ذلك فى بعض قصائد متفرقة لاترتبط بقافية أوغرض ، ثم اتبعت فى قسمها الأخير نظام الترتيب على القوافى . وهذه المجموعة تمثلها نسخة وحيدة هى التى رمزنا لها بحرف (ك) .

* * *

وهذا هو صف للمخطوطات التى رجعنا إليها ، أقدّمه فى وضوح ليكون صورة كاملة الملامح أمام القارئ ، وأبين الفروق بين كلٍّ منها :

النسخة (ا) :

هى المخطوطة المحفوظة بخزانة كوبريلّى بالآستانة برقم ١٢٥٢ وعدد أوراقها ١٩٧ ورقة مقاسها ١٧×٣٣سم . وعدد السطور فى كل صفحة ٣٢ سطراً . ويرجع تاريخها إلى عام ٤٢٤ — ٤٢٥هـ ؛ إذ جاء على الورقة الأولى هذه العبارة « كتبه علىّ بن عبدالله الشيرازى بمدينة تبريز فى سنة أربع وعشرين وأربع ماية فى شهر رمضان منها » . وقال ناسخها إنه خدم بها « خزانة كتب الأستاذ الجليل أبى المظفر إبراهيم بن أحمد ابن الليث ، أطال الله فى العز والنعما بقاه وأدام علاه » . وهى مكتوبة بالقلم النسخ ومضبوطة بالشكل ضبطاً كاملاً ودقيقاً .

واتَّبع فيها ناسخها طريقة خاصة هى وضعُ حرف (ح) صغيرة تحت الحاء تمييزاً له عن الجيم والخاء . ووضعُ نقطة تحت حرف الدال تمييزاً له عن حرف الذال ، وكذلك وضعُ ثلاث نقط تحت السين ليميزها من الشين . ثم وضع هذه الحروف الصغيرة ص ، ط ، ء تحت حروف الصاد والطاء والعين . أما من حيث حركات الضبط فإنه يكتب الشَّدَّة المفتوحة أو المضمومة بوضع الفتحة أو الضمة تحت الشدة مباشرة ، وحين يكتب الشدة المكسورة يضع الشدة وحدها فوق الحرف والكسرة تحته .

وقد بدأ الورقة ١ ظ بهذه العبارة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وما توفيقى إلاّ بالله . قال البحترى وهو الوليد ابن عُبَيْد بن يحيى بن عُبَيْد بن شملال بن جابر بن سَلَمة بن مُسْهِر بن الحارث بن خُثَيْم بن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تَدُول بن بُحْتُر بن عَتُود بن عُنَيْن بن سَلاَمان بن ثُعَل بن عَمْرو ابن الغَوْث بن جُلْهُمة وهى طيِّئ ؛ وكنيته أبو عبادة يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ويذكر صلح بنى تغلب » .

ثم يبتدئ بذكر القصيدة رقم ٥١٦ التى مطلعها :

مُنَى النَّفْسِ فى أسماءَ او تستطيعُها بِها وَجْدُها مِنْ غادَةٍ وَوَلوعُها

وينتهى بذكر القصيدة رقم ٧٠٠ التى مطلعها :

راجَعَ القَلْبَ بَثُّهُ وخَبَالُهْ لخليطٍ زُمَّتْ لبَيْنٍ جِمَالُهْ

ويختم المخطوطة بهذه العبارة :

« هذا آخر ما وُجد من شعر البحترى فى جميع النسخ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلّم تسليماً . وحسبنا الله ونعم الوكيل . كتب علىّ بن عُبيد الله الشيرازى بمدينة تبريز فى صفر سنة خمس وعشرين وأربع مائة وهو يستغفر الله » .

فكأنه أمضى فى نسخها ستة أشهر .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة ٦٥٠ قصيدة ومقطوعة . وهى ليست مرتبة على حروف المعجم ولا على الموضوعات ، ولكنها — على قول الأستاذ ا . س . مرجليوث فى « دائرة المعارف الإسلامية» (مجلد ٣ : ٣٦٨ الترجمة العربية ؛ مادة « البحترى») — « مرتبة بأسماء الأشخاص والأسر الذين قيل الشعر فيهم ، ولو أن هذا الترتيب لم يكن مرعيًّا على الدوام » . فهى تجىء ببعض القصائد التى نظمها فى المتوكل ثم فى الفتح بن خاقان ، ثم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى ، ثم بعض الوزراء والقوّاد ، لتعود بعد ذلك فتكرّر هؤلاء الأشخاص وتزجّ بين هذا وذاك مقطوعة هجو أو عتاب أو استسقاء أو رثاء وغير ذلك من أبواب الشعر .

وهذه النسخة هى التى طبعت عليها الطبعة الأولى للديوان بمطبعة الجوائب بالآستانة ١٣٠٠ هـ [١٨٨٢ م] كما ذكرنا من قبل .

ولقد تنقلت هذه النسخة من يد إلى أخرى على مدى هذه القرون الطويلة ، وامتلأت ورقتها الأولى بخطوط متعددة تبين التمليكات المختلفة : حتى امتلكها كوبريلى ووقفها . (انظر اللوحات ١، ٢، ٣) .

النسخة (ب) :

هى المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠٨٦ وعدد أوراقها ٤٣٢ ورقة مقاسها ١٧×٢٦سم ، وعدد السطور فى كل صفحة ١٩ . وقد كتب على الورقة الأولى منها « الأول من ديوان أبى عبادة البحترى رحمه الله » وعليها بعض تمليكات واستعارات مشطوب عليها ، ثم ينتهى النصف الأول منها عند البيت ٤٤ من القصيدة ٤٧٣ التى مطلعها :

سَهَرٌ أَصابكَ بَعدَ طُولِ نُعاسِ   لصُدودِ أَغْيَدَ فاتنٍ مَيَّاسِ

وهى قصيدة يبلغ عدد أبياتها ٨٤ بيتًا ، أكملناها من النسختين ه ، ى ؛ وهى واردة فيهما من ٨٣ بيتًا . ولاشك فى أن هذه المخطوطة قد ضاع منها أكثر من ورقة ، وأن الورقات المفقودة كانت تضم بقية هذه القصيدة ثم بعض المقطوعات . التى تليها إلى المقطوعة ٤٧٨ من حرف السين إن لم تكن جميع هذه المقطوعات .

ثم تبدأ قافية الصاد بهذه العبارة « النصف الثانى من ديوان البحترى » وأولها القصيدة ٤٨٩ ومطلعها :

ما لِذَا الظَّبْيِ لايُنَالُ اقْتِنَاصُهْ   وَهْوَ بالقُرْبِ بَيِّنٌ أَفْرَاصُهْ

وهذه المخطوطة مكتوبة بخط نسخ عادىّ ، أمَّا عناوين القصائد والمقطوعات فقد كتبت بالخط الثلث ، وضبطت بعض حروفها بالشكل ، ولكن هذا الضبط فى أكثر الأحيان خاطئ كما أنها مليئة بتصحيف كثير . وكتب بأعلى الورقة (٢ ظ) ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عُبَيْد بن يحيى بن عُبَيْد ابن شملال بن جابر بن سَلَمة بن مُسْهر بن الحارث بن جُشَم بن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تدول بن بُحْتُر بن عَتُود بن عنين بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن جُلْهُمة ــ وهوطيء ــ بن أُدَد بن زيد بن الهَمَيْسَع ، ويقال ابن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قَحطان ؛ على قافية الهمزة يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الطائى » .

وتبدأ بذكر القصيدة رقم ١ ثم تنتهى بالقصيدة ٩٣٣ ومطلعها :

قَطعْتُ أَبا لَيْلَى وما كنتُ قَبْلَهُ قَطوعاً ولا مُسْتقصِرَ الودِّ جَافيا

وقد جاءت القصيدة ١٨ فى هذه النسخة تالية للمقطوعة ٩ فى طبعتنا هذه ، ثم القصيدة ١٩ والمقطوعتان ١٠ و ٢١ بعد القصيدة رقم ١٢ فى طبعتنا ، ثم تجىء المقطوعات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ بعد المقطوعة ١٤ من طبعتنا فنقلناها إلى قافية الألف المقصورة ، وكذلك نقلنا إلى هذه القافية المقطوعة رقم ٢٦ وكانت تقع فى المخطوطة فى الورقة ١٨٨ ظ فى حرف الراء بين المقطوعة ٣٩٢ والقصيدة ٣٩٣ لغلبة الألف المقصورة . كذلك جعلت هذه المخطوطة قافية الواو قبل الهاء فنقلنا المقطوعة الوحيدة التى فى قافية الواو بعد نهاية قافية الهاء لنتمشى مع الترتيب المصطلح عليه لحروف الهجاء.

وختم الناسخ هذه المخطوطة بهذه العبارة :

« تم الديوان وكمل ، ولله الحمد والمنّة ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله أجمعين . ووقع الفراغ منه يوم الجمعة رابع عشر صفر سنة عشر وستمائة ، وذلك على يد العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى علىّ بن محمد بن أبى القاسم بمدينة الموصل برسم خزانة الإمام العالم الفاضل جمال الدين أديب الأدباء مخلص الدين أدام الله علوّه وحرس سموّه لمحمد وآله » .

وتشترك هذه النسخة مع بعض النسخ الأخرى فى إثبات الكثير من شعر البحترى الذى لم يرد فى المخطوطة (ا) وفى طبعات الديوان السابقة ، وهو الشعر الذى أشار المعرّى إلى مطالع كثير من قصائده فى كتابه « عبث الوليد» . ولكنها تنقص عدداً من القصائد التى أثبتناها نحن من النسخ الأخرى التى تليها فى التاريخ ، كما أن بعض قصائدها كانت تنقص أبياتاً أو كلمات من بعض الأبيات فأكملناها من غيرها .

وقد بلغ عدد قصائد هذه النسخة ٨٣٥ قصيدة ومقطوعة ، أضفنا إليها من النسخ الأخرى ٩٨ قصيدة ومقطوعة . وانفردت هى عن النسخ الأخرى بسبع وعشرين قصيدة ومقطوعة اشتركت أختها النسخة (ج) فى أربع عشرة منها .

والنسخة (ب) هى التى اعتمدناها أماً فى تحقيقنا لهذا الديوان وفى ترتيبه لأنها أقدم ما وقع لنا من المخطوطات التى رتبت فيها القصائد على حروف المعجم ، فتاريخها هو سنة ٦١٠ هـ ، كما بينا . (انظر اللوحات ٤ ، ٥ ، ٦) .

النسخة (ج) :

هى المخطوطة المحفوظة بمكتبة ميونخ فى ألمانيا برقم ٥٠٨ وعدد أوراقها ٨٧ وسطورها تختلف بين ٢٤و٣١ سطراً فى الصفحة. وهى مكتوبة بخط مزيج بين الرقعة والفارسى ، ليس بالمتمن وغير مضبوط بالشكل وفيه تصحيف كثير . ولم يعرف اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها لأنها ناقصة وفى بعض أوراقها تشويه أرَضه ، ولكننا نرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجرى تقريباً .

وهى مرتَّبة على حروف الهجاء بالترتيب نفسه الذى سارت عليه المخطوطة(ب) ؛ ولعلها أن تكون منقولة عنها أو عن نسخة أخرى منقولة عن تلك . ولكنها تنتهى عند البيت ٣٢ (صفحة ٧٣٨) من القصيدة ٢٨٨ التى مطلعها :

رُنُوُّ ذاك ٱلغزالِ أَو غَيَدُهْ مُولعُ ذى ٱلوَجْدِ بِٱلذى يجدُهْ

أى عند البيت الذى يقول فيه :

ترفُّقاً فى ٱطِّلابِ مالِهِمِ وجَمْعِهِ ، أَو يعمُّهمْ بَدَدُهْ

وبذلك يكون عدد قصائد هذه المخطوطة ٢٦٣ قصيدة ومقطوعة . وقد اشتركت مع المخطوطة (ب) فى إيراد ١٤ قصيدة ومقطوعة لم ترد فى المخطوطات الأخرى .

النسخة (د) :

هى المخطوطة المحفوظة بمكتبة أسعد أفندى بالآستانة برقم ٢٦١٥ ، وهى النصف الثانى من ديوان البحترى ، وتبدأ بالقصيدة ٣٤ (انظر صفحة ١٠٤) ومطلعها :

رأَى ٱلبَرقَ مُجتازًا فبَات بِلاَلُبِّ وأَصْباهُ مِنْ ذِكْرِ ٱلبَخيلَةِ ما يُصْبِى

وعدد أوراقها ٢٠٧ورقة ، سطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . وقد كتبت بخط فارسى ، وامتلأت ورقاتها الأولى والأخيرة بمختارات من الشعر والحكم لعدد من الشعراء المعروفين وغير المعروفين ، وعليها تمليكات متعددة ؛ من بينها تمليك يُستدَل منه على أنها كانت كاملة فضاع النصف الأول منها إذ جاءت هذه العبارة بالورقة ٢ مكتوبة بخط فارسى جميل « ملكه مع مجلده الأول الفقير إلى ربه ذى العوارف عبد الباقى عارف بمصر القاهرة » . وبهذا القلم كتب فوق هذا التمليك هذه العبارة « بخط الشهاب» أى أنها بخط الشهاب الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩هـ .

وترتيب هذه المخطوطة هو الترتيب نفسه الذى التزمته النسخة (ا) وتنتهى كذلك بالقصيدة رقم ٧٠٠ ويختمها ناسخها هكذا :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحترى فى جميع النسخ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه » .

ثم يكتب بأعلى هذه الورقة (الورقة ٢٠٧) نقلا عن أمالى المرتضى :

« كان سبب خروج البحترى من بغداد فى آخر أيّامه هذه الأبيات »

ويورد أبيات المقطوعة رقم ٦٠٥ وهى أبيات لم ترد فى النسخة (ا) وإخوتها ومنها النسخة (د) نفسها ومطلعها :

أَخَيّ متى خاصَمْتَ نَفْسَكَ فاَحْتَشِدْ لها ومتى حَدَّثْتَ نَفْسَك فاَصْدُقِ

ونجد فى هوامش هذه المخطوطة نقولاً من كتاب « عبث الوليد » للمعرّى .

وقد بلغ عدد قصائد هذه المخطوطة (النصف الثانى من الديوان) ٢٣٤ قصيدة .

النسخة (هـ) :

وهى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم١٥٣١ ، وعدد أوراقها ٣٤٠ ورقة ، وسطور كل صفحة ٢١ سطراً ، وهى مكتوبة بخط نسخ جميل للغاية ، ولكن فيه تحريفًا وتصحيفًا كثيرا وتَرْكًا للنقط أو لبعض الكلمات ورسماً

لبعضها الآخر إذا تعذّر على الناسخ فهمه ولم تضبط بالشكل إلا نادراً . أما عناوين القصائد فقد كتبت بالمداد الأحمر . وهى مجدولة كذلك بهذا المداد . واسم الناسخ مصطفى بن حسن بن محمد الحسينى الصمادى ، تاريخ نسخها سنة ١١٠٠ھ . وقد قدّم لها بما يلى :

«بسم الله الرحمن الرحيم.الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فهذه أوراق تشتمل على معظم نظم أبى عبادة البحترى رحمه الله تعالى ، نقلته من ديوانه بيد أنى أسقطت الهجو فلم أنقل منه شيئًا ؛ والله الموفق الهادى إلى سبيل الصواب . منه المبدأ وإليه المآب » .

وهذه المخطوطة مرتّبة على حروف المعجم ، ولكنها تختلف فى ترتيبها أحيانًا عن النسخة (ب)، وتتفق أحيانًا معها فيه . فهى تبدأ بالقصيدة ٢ وتليها القصائد : ١ ، ٣ . ١٢ . ٨ . ٧ . ٦ . ١٦ (وهى القصيدة التى انفردت بها وقد أورد المعرى بيتًا واحداً منها خلال كلام له) . وهكذا فى باقى القصائد والمقطوعات فى جميع القوافى إذ تتقدم أو تتأخر واحدة منها عن ترتيبها الذى جاء فى طبعتنا .

ووضعت القصائد التى تنتهى قافيتها بالهمزة والكاف أو الدال والكاف أو العين والكاف فى قافية الكاف . ويرى أبو العلاء المعرّى هذا الرأى فى كتابه « عبث الوليد» . ولكننا اتّبعنا الحرف السابق للكاف الزائدة إذا لم يكن ذلك الحرف من بنْية الكلمة . كذلك جعلت هذه المخطوطة حرف الواو قبل الهاء كما جاء بالنسخة (ب) . وقد جاء بهوامشها بعض نقول من « عبث الوليد » .

وانتهت هذه المخطوطة كما انتهت المخطوطة (ب) بالقصيدة ٩٣٣ وختمها ناسخها بهذه العبارة :

« هذا آخر ديوان الشاعر الأديب البحترى رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة اللطيفة فى اليوم الخامس والعشرين من ربيع الأول الأنور سنة ماية بعد الألف على يد العبد الفقير المعتمد

على عفو ربه الهادى مصطفى بن حسن بن محمد الحسينى الصمادى
غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين. والحمد لله رب العالمين .
آمين » .

وبآخر هذه الورقة ختم بالقلم الفارسى الجميل يشير إلى أن هذه النسخة « من ممتلكات مصطفى نجيب » . أما الورقة الأولى فإن فيها تمليكات مشطوبة ما عدا اثنين منها . الأول عبارته « من عطا الله إلى عطا الله سنة ١٢٠١ » والثانى عبارته « كتبت أقول ملكى والملك لله الملك العظيم وأنا الأقل حسن بن المرحوم السيد باقر ابن السيد إبراهيم فى ٢١ رجب سنة ١٢٣٤» ثم ذيّل ذلك بختم « حسن الحسينى » .

وقد بلغ عدد قصائد هذه النسخة ٦٤٠ قصيدة ومقطوعة انفردت بسبع منها لم ترد فى النسخ الأخرى . (انظر اللوحات ٧ ، ٨)

النسخة (و) :

هى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢٦٧ وعدد أوراقها **٣٢٣** ، وسطورها فى كل صفحة ١٩ . وهى مطابقة فى ترتيبها لمخطوطة كوبريلى التى رمزنا لها بحرف (ا) ، وناسخها هو فرج الله بن نعمان المخزومى المكىّ ، فرغ من كتابتها فى غرّة المحرم سنة ١٢٦٦ هـ . وخطها نسخ عادىّ . مليئة بالتحريف والتصحيف ونقص فى بعض الأبيات .

النسخة (ز) :

هى مخطوطة أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦أدب م. وعدد أوراقها ٢٩٢ ، كل صفحة منها ٢١ سطراً . وهى كالنسخة (و) مطابقة لمخطوطة كوبريلى(ا) . وخطها نسخ عادىّ ، مليئة كذلك بالتحريف والتصحيف ونقص الأبيات ، وناسخها هو مصطفى بن حسن البابلى ، فرغ من كتابتها فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٣ هـ .

النسخة (ح) :

هى المخطوطة رقم ٦١٥ المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وعدد أوراقها ٢١١ وسطورها فى كل صفحة ١٩ سطراً . وهى مكتوبة على ورق أصفر بخط نسخ

عادى غير مضبوط بالشكل ، وفيها كثير من التحريف والصحيف وقد مُيِّزت عناوين القصائد بالمداد الأحمر . وبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٤٥٧ تشترك هى والنسخة (ل) فى ذكر ٣٩ قصيدة ومقطوعة لم ترد فى النسخ الأخرى .

وهى مقسمة إلى سبعة أبواب : الأول فى المديح والتهنئة ، ولم يذكر فى الورقة الأولى اسم هذا الباب ولا عنوان القصيدة الأولى منه ، وهى القصيدة ٥٥٥ . وإنما بدئت المخطوطة هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عُبَيْد البحترى » :

أتُرَاكَ تَسْمَعُ للحَمَامِ الهُتَّفِ ... شَجْوًا يكون كَشَجْوِك الْمُسْتَطْرَفِ

ثم يليه الباب الثانى وهو « فى الفخر » ، والثالث « فى المراثى والتعزية » ، والرابع « فى العتاب وذم الزمان والاستبطاء » ، والخامس « فى الهجاء » ، والسادس « فى المكاتبات والمداعبات والمزاح وسقيا الراح » ، والسابع « فى الرقيق والغزل » .

وتنتهى هذه المخطوطة بهذه العبارة :

« هذا آخر شعر البحترى والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم . وكان الفراغ من كتابتها يوم الأربعاء ٢٤ مضت من شهر ربيع الآخر سنة ألف ومايتين ستة وتسعين من الهجرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجى حسن المساعى عبد الوهاب سليمان السباعى والحمد لله وحده » .

ولم يذكر الناسخ شيئًا عن النسخة الأصلية التى نقل عنها ، ولعلها أن تكون منقولة عن النسخة (ل) التى يمتلكها الأستاذ الدكتور محمد صبرى ، أو عن نسخة منقولة عن تلك .

النسخة (ط) :

هى مخطوطة مكتبة الأزهر رقم ٢٤١ أباظة ٦٨٤٦ وعدد أوراقها ٣٦٣ وسطور كل صفحة منها ١٧ سطراً ، ومجدولة بالمداد الأحمر . وهى فى ترتيبها كالمخطوطة (ا) وجاء فى نهايتها :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحترى قال جامع هذه النسخة : وقد حذفنا من شعره كثيراً من هجوه لعدم سلاسته ، والله سبحانه وتعالى أعلم » .

وهى بخط عبد الوهاب سليمان السباعى — ناسخ المخطوطة (ح) التى تختلف فى ترتيبها عن هذه النسخة — فرغ من كتابتها يوم الأحد تاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٣ . وقال إنه نقلها عن نسخة بدار الكتب المصرية . ولعلها إحدى النسختين (و) ، (ز) اللتين وصفناهما من قبل .

على أنه قد تبين لنا أن ناسخها لم يكتف بحذف شعر الهجو ، بل إن فى هذه النسخة نقصًا كبيراً فى عدد من القصائد التى لاهجو فيها ، فاتها أو سقطت منه . وفى هذه النسخة من التصحيف والتحريف ما فى الأصل الذى رجع إليه ويزيد .

النسخة (ى) :

هى المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٧م . وعدد أوراقها ١٩٧ وسطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . ومقاسها كبير ٢٣,٣ سم × ٣٦.٥سم مرتبة مع حروف المعجم باختلاف عن النسختين (ب) ، (هـ) ، ومجدولة بالمداد الأحمر ، وخطها نسخ ردىء متداخل الحروف ، ومضبوطة بالشكل ولكنه ضبط خاطىء ، ومشحونة بالتحريف والتصحيف ورسم الكلمات على غير فهم . ولم يُعرف تاريخ كتابتها ولا اسم ناسخها . وهى ناقصة ، والموجود منها إلى حرف الكاف . ونرجح أن تاريخها يرجع إلى القرن الحادى عشر الهجرى .

ويبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٣٤٩ ، وعلى الرغم من نقصها فإن فيها إحدى عشرة قصيدة ومقطوعة انفردت بها عن النسخ الأخرى ، كما اشتركت مع النسخ (ب ، ج ، هـ ، ح ، ك ، ل) فى إثبات قصائد ومقطوعات لم ترد فى النسخة (ا) وإخوتها .

وفى أول هذه النسخة مقدمة فى تسع ورقات تشتمل على أخبار البحترى مما

رواه الصُّولى ، وهى التى نشرها الدكتور صالح الأشتر فى كتاب على حدة بعنوان « أخبار البحترى » واعتمد فيها على مقدمة هذه النسخة وعلى نسختين أخريين من هذه المقدمة ؛إحداهما محفوظة بمكتبة الإمبروزيانا فى ميلانو ، ومنها فيلم محفوظ بمعهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ؛ والأخرى نسخة المستشرق ماسينيون وهى منسوخة عن نسخة دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م) . وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٥٨ بين مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق .

وقد نشر جزء كبير من هذه الأخبار كمقدمة لطبعة الديوان التى نشرها أمين هندية بالقاهرة سنة ١٩١١ وقد أشرنا إلى ذلك حين تكلمنا على تلك الطبعة .

النسخة (ك) :

هى نسخة حديثة محفوظة بمكتبة المستشرقين الألمان بمدينة هال (ليبزج) بألمانيا برقم ١٠١ . وعدد أوراقها ٢٢٢وسطور كل صفحة منها ١٥ سطراً . وكان المستشرق الألمانى الكبير الأستاذ الدكتور كارل بروكلمان قد كتب إلىّ فى سنة ١٩٥١ رسالة يذكر فيها أنه وجد نسخة فى جمعية المستشرقين الألمان وهى من تركة الأستاذ سوسن Socin وأنهاحديثة ولا تاريخ لها ولا إشارة إلى أصلها . وقال لى — رحمه الله — فى رسالة أنه قابلها على طبعتى الديوان — طبعة الجوائب وطبعة مصر — فوجد فيها كثيراً من الأشعار غير الموجودة فى الطبعتين ، وأنها مرتبة ترتيباً غير ترتيب أصل الطبعتين ، وأبى فضله إلا أن يفهرسها لى ذاكراً مطالع القصائد والمقطوعات التى لم ترد فى المطبوع وعدد أبيات كلٍّ منها . وهذا فضل له أسجِّله هنا إلى جانب ما قدم للأدب العربى وتاريخه من فضل بكتابه القيِّم الذى تقوم الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية متعاونة مع دار المعارف على نشره بعد أن قام بنقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار .

وبعد سنوات تفضل علىّ المستشرق الألمانىّ الأستاذ الدكتور يوهان فلك Johann W. Fück فبحث عن هذه المخطوطة ثم أرسل إلىّ فيلماً مصوراً لها . فأسجِّل له هنا هذا الفضل .

وهذه المخطوطة تضم ٣٤١ قصيدة ومقطوعة ، انفردت بست عشرة قصيدة

ومقطوعة لم ترد فى المخطوطات الأخرى ، كما تنفرد بطريقة فى ترتيب القصائد حيث اقتفت أثر النسختين (ح) ، (ل) اللتين رتّبا القصائد على أبواب فابتدآ بقصائد المديح . وقد اتفقت النسخة (ك) معهما فى الإحدى والأربعين القصيدة الأولى ثم بدأت تسقط قصيدة ثم قصيدتين ثم ثلاثـًا ثم أكثر من ذلك حتى بلغت القصيدة التاسعة والخمسين فى ترتيبها (وهى القصيدة ٢٩٠ فى ترتيبنا) فاختلفت عن نهج النسختين (ح ،ل) . وبدأت ترتب القصائد التالية على حروف الهجاء ولكنها لم تبدأ إلا بحرف اللام وكان أول ذلك القصيدة ٦٢٩ فى ترتيبنا ، وقد سارت فى ترتيب قصائد حرفى اللام والميم كترتيب النسخة (ب)، وهو ترتيب طبعتنا ، إلا فى قصائد قلائل من هاتين القافيتين كانت قد وردت فى القصائد الأربعين الأولى . وقبل أن تبدأ فى قافية النون أوردت قصيدتين من حرف الحاء (هما القصيدتان ١٧٩ ، ١٧٦ فى ترتيبنا) ثم المقطوعات ٦١٠ ، ٣٣٨ ، ٤٥١ (فى ترتيبنا) ثم جاءت بقصائد حروف النون والهاء والواو والياء ما عدا بعض مقطوعات لم تذكرها من قافيتى النون والهاء .

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخ عادىّ ، ولم تذكر عناوين القصائد ، وفيها كثير من التحريف وبخاصة فى القصائد التى انفردت بها .

النسخة (ل) :

هذه المخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ الجليل الدكتور محمد صبرى الذى تفضّل فأعارنى إيّاها ، ولم يشأ فضله أن يقف عند حد هذه الإعارة ، بل أعاننى بالكثير من إرشاده ، وإنى لأسجّل له هنا هذا الفضل بالشكر والتقدير ، وأحبُّ أن أقرر هنا أنه كان فى عزمه أن ينشر الديوان منذ سنوات ثم نشر فى سنة ١٩٤٦ دراسة تحليلية نفيسة عن أبى عبادة البحترى فى سلسلة « الشوامخ» التى كان يتابع نشرها . فلمّا علم أنى ماضٍ فى تحقيق الديوان رحّب بهذا العمل ، ولم يضنّ علىّ بما قدّم من فضل .

وهذه النسخة عدد أوراقها ٢٦٦ ورقة مقاس ١٥×٢٠,٥ سم، وعدد السطور فى كل صفحة ١٥ سطراً . وهى كالمخطوطة (ح) فى الترتيب وعدد القصائد، ولعلها

أن تكون الأصل الذى نقلت عنه النسخة(ح) أو أصلاً لما نقلت عنه ، فهى قديمة ترجع إلى سنة ١٠٣٠ هـ ، وكان جديراً أن تتقدمها فى مراجعنا ولكننا رجعنا إليها بعد أن كنا قطعنا شوطاً كبيراً فى تحقيقنا للديوان وسلّمنا أصول القسم الأكبر منه للمطبعة فى منتصف عام ١٩٥٧ .

ويلاحظ أن هذه النسخة والنسخة (ح) قد خلتا من قصائد مدح الخلفاء والوزراء . وهى مقسمة إلى الأبواب السبعة التى ذكرناها عند وصف النسخة(ح). وتبدأ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال أبو عبادة الوليد بن عُبيد البحترى » .

ثم تأتى بالقصيدة ٥٥٥ التى أولها : « أتُرَاك تسمع للحمام الهتّفِ » .

وهى مكتوبة بخط نسخ ومضبوطة بالشكل الكامل ، بَيْد أنها لم تخلُ من أخطاء وتصحيفات وتحريفات ولكنها أقلّ مما فى النسخة (ح) . وقد مُيِّزت عناوين القصائد كذلك بالمداد الأحمر . وبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها ٤٥٧ ؛ منها ٣٩ لم ترد فى المخطوطات الأخرى إلا المخطوطة (ح) . وكتب على ورقتها الأولى بعض تمليكات محيت كلمات منها ، ولم يبق واضحاً إلا عبارة هذا التمليك :

« ممَّا منّ الله به على عبده الراجى عفو ربه الغافر جعفر السيد باقر » .

وذيِّل ذلك بختم « جعفر الحسنى » . وختمت بهذه العبارة :

« هذا آخر شعر البحترى ، والحمد لله رب العالمين وصلّى على محمد وآله » .

ثم هذه العبارات مكتوبة بخط فارسى :

« كتب د . . . . يوان فى أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ثلثين .

وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية » .

ثم هذه العبارة :

« كتبت من نسخة مكتوبة فى آخرها ما صورته :

فرغ من كتبه شيركا بن على الأصبهانى صبيحة يوم الأحد روزارد بيهشت من ماه بهمن الواقع فى جميدى الآخرة سنة ست وثلثين وأربعماية .

وهو يحمد الله ويستغفره » .

وأخيراً هذه العبارة :

« ومكتوب فى المنتسخ : بلغت القراءة والمعارضة بالأصل ففرغت منها سلخ ذى القعدة سنة ست وثلثين وأربعماية »

النسخة (م) :

مخطوطة محفوظة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنوّرة برقم ١٤٠ . وعدد أوراقها ٢٦٤ ورقة مقاسها ١٢×٢٥ سم . وعدد سطورها ٢٣ سطراً فى الصفحة . وهى بخط منصور بن سليم الدمناوى بالجامع الأزهر بمصر المحروسة سنة ١٠٣٦ هـ .وترتيبها كالنسخة (ا) .

النسخة (ن) :

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٦٤٨ ز . وعدد أوراقها ٣٢٤ مقاسها ١٦،٥×٢٤سم وسطورها ١٩ ولم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ كتابتها . وهى حديثة ؛ عليها تعليقات بخط أحمد زكى باشا ، وترتيبها كترتيب النسخة(ا) أيضًا . وقد جاء فى آخرها :

« هذا آخر ما وجدناه من شعر البحترى حذفت منه بعض أبيات فى الهجاء لقبحها وركاكة ألفاظها » .

النسخة (س) :

مخطوطة مكتبة عاشر أفندى بالآستانة رقم ٨١٩ ، وعدد أوراقها ١٢٠ ورقة فى كل صفحة ٢١ سطراً . وهى عبارة عن مختارات من شعر البحترى بعنوان « السلك الدرّى فى المختار من شعر البحترى » وتقع هذه المختارات فى ٥٠ ورقة من هذه المخطوطة التى تضم كذلك مختارات من شعر الصنوبرى .

وهذه المخطوطة تتبع فى اختيارها ترتيب النسخة (ا) إلاّ أنها لم تذكر مقدمات للقصائد ، ولم تورد من كل قصيدة إلاّ بضعة أبيات .

* * *

وإلى جانب هذه النسخ المتعددة من مخطوطات الديوان ، رجعنا كذلك إلى

ثلاثة مراجع ممّا اختارت الكثير من شعر البحترى هى :

١ — اختيار من شعر البحترى لأبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى المتوفى سنة ٤٧٤ هـ . اختار فيه أبياتًا من بعض القصائد لاجميعها حسب الترتيب الهجائى ، قد يكتفى فيها ببيت أو بيتين من القصيدة ، وقد يتجاوز ذلك إلى الاثنى عشر بيتاً . ومن الأبيات التى اختارها طائفة من شعر البحترى الذى لم يسبق نشره .

وقد نشر هذه المختارات العلاّمة عبد العزيز الميمنى أستاذ الأدب العربى بجامعة عليكره بالهند سنة ١٩٣٧ فى مجموعة بعنوان « الطرائف الأدبية » وطبعتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٢ — المختار من شعر البحترى فى كتاب « السفينة » لابن مباركشاه أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٦٢ هـ . ويقع فى ثلاث وأربعين ورقة من الجزء الثانى من هذا الكتاب ، أى من الورقة ٢١ — ٦٤ ، وهى نسخة بخط المؤلف محفوظة بمكتبة فيض الله بالآستانة برقم ١٦١٠ . وهذا الاختيار كاختيار الجرجانى قائم على بيت أو بيتين من القصيدة وقد يتجاوز ذلك إلى أكثر من هذا العدد . وقد راعى فيه الترتيب الهجائى ، ولم يتناول جميع القصائد . ومن الأبيات التى اختارها طائفة من شعره الذى لم يسبق نشره ، بل منه ما هو وارد فى النسخة (ب) ووجدناه منسوبًا فى بعض كتب الأدب لغير البحترى كالعباس بن الأحنف وابن بسّام وجحظة البرمكى .

٣ — كتاب الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدىّ المتوفى سنة ٣٧١ هـ فقد وجدنا فى هذا الكتاب كثيراً من شعره الذى لم يسبق نشره ، وبخاصة فى القسم المخطوط الذى لم ينشر بعدُ من كتاب « الموازنة » . **وقد جاء فى الجزء الأول من الطبعة التى تنشرها دار المعارف الآن من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر جزء من هذا القسم المخطوط .**

* * *

هذا إلى جانب ما وجدناه متفرقًا فى مختلف كتب الأدب والتاريخ التى رجعنا إليها ونبّهنا عليها فى حواشى الديوان .

ختام

أمّا وقد انتهيت من تقديم الديوان فقد وجب عليّ أن أقدّمه للأدباء عامة ، ولعشّاق شعر البحتريّ خاصة ، راجيًا أن أكون عند حسن ظنّهم بما أصنع ، فإنْ وجدوا نقصًا ، أو تبيّنوا شَطَطًا ، فحَسْبي عندهم أن أكون قد مهّدت الطريق لغيري وأنَرْتُ صُوَاه وأوضحت معالمه ، حتى يستكملوا ما نقص منه ، ويردّوا إلى الصواب ما جانبته فيه ، فالعصمة لله وحده ؛ ولا أدّعى أنى بلغت فى هذا التحقيق الغاية القصوى ، ولكنّى أومن أنى أدّيتُ فيه الواجب كما يجب أن أؤدّيه ، وجمعت فيه بين طريقة المستشرقين فى نشر النصوص وإثبات اختلاف المخطوطات وطريقة العرب الأقدمين فى إثبات الروايات والشرح والتعليق .

أما إن وجد هؤلاء الأدباء فيما صنعت ما يستحق الشكر ، فحَسْبي هذا جزاءً على السنوات التى قضيتها مع هذا الشاعر ، سالبًا من نفسى الراحة والهدوء والاستقرار، وباذلاً فى سبيله كل جهد مادىّ غير ضنين به ، فالرِّضا عما صنعت خير عِوَض عمّا بذلت .

ووجب علىّ هنا أن أشكر كل من أمدّنى بالتشجيع والعون من إخوانى الأعزّاء الذين ذكرت أسماءَهم فى هذه المقدمة ، كما أسجل هنا شكرى لأخى المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر فقد أفدت من علمه ما هدانى إلى وجوه الصواب فى بعض ما اكتنفه الضباب .

والله أسأل أن يجزى عنى كل من ذكرت خير الجزاء .

حسن كامل الصيرفى

مصر الجديدة فى ١٨ مارس سنة ١٩٦٣